،، سلوان المطاع ،، في عدوان الاتباع ،،

Gotthut

Richard Gottheil.

Solwân elmouta fî adwân elatba, traité de politique par Hasan ben Abd-errahîm. Tunis, imprimerie du gouvernement, 1279 de l'hégire. In-8. br. n. ro

18 fr

4099

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد

سلوان المطاع * في عدوان الاتباع

يقول الفقير الى الله عز وجل الحسن بن عبد الرحيم قرات سلوان المطاع * في عدوان الاتباع * على الفقيه الاجل النحوي ابي اسحاق ابراهيم بن موسى بن ثابت الربعي القناوي في شهر رجب سنة خمس وستمائة قال اخبرني به القاضي الامين شرف الدين عز القضاة ابو الرضا محمد بن سليمان بن حسن قراءة منه عليه وهو يسمع وذلك بمدينة سيوط في ذي

القعدة سنة اثنين وستمائة ۞ قال انبانا به القاضي الفقيه الخطيب نجم الدين عزالقضاة ابو البركات محمد بن علي ابن محمد الانصاري الموصلي الحاكم والخطيب بمدينة سيوطكان قراءة منه عليه في المحرم سنة احدى وتسعين وخمسائة * قال انبانا الشيخ العالم حجة الدين ابو هاشم محمد بن ابى محمد بن محمد بن ظفر رضي الله تعلى عنه بقراءته عليه من اصله بخطه بثغر حماة صانه الله وحماه في شهر رجب من سنة خمس وستين وخمسمائة واجازني القاضي الامين شرف الدين عز القضاة ابو الرضا محمد بن سليمان ابن الحسن المذكور اعلاه رواية هذا الكتاب ورواية جميع ما يرويه على الشرط المعتبر بين اهل العلم وذلك لتسع ليال ان بقين من شعبان سنة ست وستمائة وبذلك كتب خطه على كتاب درر الغرر للمصنف ايضا * قال ان شكر الله سبحانه لاسنى الملابس الفاخرة ۞ وان حمده لاعود بخير الدنيا وخير الاخرة * فالحمد لله جاعل الصبر للنجاح ضمينا * والمحبوب في المكروه كمينا * الذي ضرب دون اسرار الاقدار حجابا مستورا * وقضى ان الخير على الفطن حجرا محجورا * واوطا المستسلمين لمشاياه مهودا وثيرا * وامطى المتبرمين بقضاياه كنودا عثورا * وقال سبحانه وعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا * وصلى الله على المرسل شاهدا ومبشرا ونذيرا ۞ وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا * سيدنا المصطفى محمد وسلم تسليما كثيرا * وبعد فان مما افضى بي اليه اضطراب الاغتراب * وانتياب الاكتياب * ان اظفرني الله بمواخاة مقيل عثرات السادة السراة * ومسيل انفس الحسدة حسرات * سائد السادة * وقائد القادة * ابي عبد الله محمد بن ابي القاسم ابن علي علوي القرشي بارك الله له فيما الهمه كسبه * وكان وليه وحسبه * فلقد انزل

الدنيا بدرك منزلتها * وكوشف بدرك مذلتها * فعمل للبقاء لا للفنا * وجمع للجود لا للاقتنا * وجاد لله لا للثنا * وءاخى للتعاون على البر والتقوى * لا للتهافت في هوي الهوى * وزان الرياسة بنفس لاتضيق بنازلة ذرعا * ولا تصغي الى الوشات سمعا * ولا تدنس بطبع طبعا * وبحلم لايرفع الغضب اليه راسا * وحزم لايخاف الابالة معه باسا * فالحمد لله الذي اباحني من اخايه حما منيعا * وحرما امينا * ومرتعا مربعا * ورواءا معينا *

شعر للحسن بن عبد الرحيم

* فنحن بقربه فيما اشتهينا ٪ واحببنا وما اخترنا وشينا *
* يقينا ما يعاب وان ظننا ٪ به خيرا ارلناه يقينا *
* نميل على جوانبه كانا ٪ اذا ملنا نميل على ابينا *
* نقلبه لنسبر حالتيه ٪ فنخبر منهما كرما ولينا *

واقسم بالله لو ان الشكر عقد شرعي * وحق مرعي * لاقررت عينيه بطي ما نشرت * والتورية عما اليه اشرت * اذ كان وقاني الله بعده * ولا ابقاني بعده * يرى ان الشكر في وجوه ءالائه ندوب * والمدح من خواص اوليائه ذنوب * فلا زالت يد التوفيق له ناصرة * وخطا النوائب عنه قاصرة * ومكانة العلاء به فاخرة * ومكادة الاعداء له داحرة * ءامين * وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى الامين * وعلى ءاله وصحبه الاكرمين * وسلم عليه وعليهم اجمعين * ولما كانت الهدايا تزرع الحب وتضاعفه * وتعضد الشكر وتساعفه * احببت ان اهدي اليه هدية فائقة رائقة * تكون عنده نافقة * وبقدره لائقة * فلم اجد ذلك الا العلم الذي شغفه حبا * والحكمة التي لم يزل بها صبا * والادب الذي استوعبه مواودا وكسبا * واستعمره خلباوقلبا * فاتحفته باساليب الغاية * في احكام ءاية * وهو كتاب ضمنته احد عشر اسلوبا تفضي بسالكها الى العلم بالظاهر والمستنبط من قول الله سبحانه يايها الذين ءامنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم الاية * ثم شفعته بمثنى الاستيناف * للمعونة والاشراف * وهو كتاب استوعبت فيه

مسائل ذلك التاليف الشريف مشفوعة بنخب براهينها وعززتها بدرر الغرر وهو كتاب انتظمت فيه درر انباء نجباء الابناء فاودعته منها ما عز مطلبه ۞ وبهرت حكمته ۞ وحسن ادبه ۞ ثم ربعت بكتابي هذا وهو كتاب عمدت فيه الى امثلة استاثر خواص الملوك ببضاعتها * ومنعتهم الغيرة عليها من اذاعتها ۞ فتوسعت بالتعبير بالفاظي عنها * والتحبير بعلمي لها * والتفنن بقوى فطنتي فيها * توسعا لا يحظره شرع * ولا ينبو عنه سمع * حتى اذا عادت اهلتها بدورا رائعة * وءاضت وديها عما يانعة * نفثت في صورها ارواح الاخلاق الزكية * وكسوت جسومها حلل الاداب الملوكية * وتوجت رءوسها بتيجان الهمم الابية * وقلدت عواتقها بسيوف المكايد الحربية * وصدرتها باي من التنزيل المحكم ° واحاديث عن المصطفى صلى الله عليه وسلم * الى ما يلي ذلك من منثور الحكم وموزونها * وابكار الادب وعونها * فبرزت * روضة للقلوب والاسماع * ورايضة للعقول والطباع * وسميتها سلوان المطاع * في عدوان الاتباع * والسلوان جمع سلوانة * وهي خرزة تزعم العرب ان الماء المصبوب عليها اذا شربه المحب سلا ۞ قال الراجز لو اشرب السلوان ما سليت ۞ مالي غنا عنكم وان غنيت ۞ وهي خمس سلوانات ۞ السلوانة الاولى في التفويض ۞ والسلوانة الثانية في التاسي ۞ والسلوانة الثالثة في الصبر ۞ والسلوانة الرابعة في الرضا ۞ والسلوانة الخامسة في الزهد ۞ وانا ارغب الى الله سبحانه في الامداد بالسداد ۞ والارشاد الى نفع العباد ۞ فيه الحول والمنة ۞ واليه الطول والمنة ۞

۞ السلوانة الاولى وهي سلوانة التفويض قال ربنا تقدس اسمه ۞ فعسى ان تكرهوا شيا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ۞ وقال تقدس اسمه وعسى ان تكرهوا شيا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون ۞ فاستوقف من عقل امره عن الاقتراح عليه ۞ وافهمهم ما يرضاه من التفويض اليه * والعاقل تارك الاقتراح ۞ على العالم بالصلاح * ووجه افهام الندب الى التفويض من هاتين الايتين انه اذا كان المكروه

قد ياتي بالمحبوب والمحبوب قد ياتي بالمكروه فالاولى لذي البصيرة ان لايامن المضرة بالمسرة ولا يياس من المسرة بالمضرة فيستخير الله سبحانه وتعلى ولا يختار عليه وهذا هو التفويض المستمد من الله سبحانه وتعلى صرف البلاء ۞ واللطف في مكروه القضاء ۞ وبهذا عامل الله سبحانه وتعلى مومن ءال فرعون حين فوض امره الى الله سبحانه وتعلى ۞ وذلك ما بلغنا انه كان من ذوي قرابة فرعون وخواص اصحابه وكان وزراء فرعون وبطانته قد فطنوا لايمانه واتباعه موسى عليه السلام فاطلعوا فرعون على ذلك فلم يصدقهم وعطفته على ذلك المومن القرابة ۞ ولما ظهرت ءايات الله سبحانه وتعلى على يد موسى عليه السلام بحضرة فرعون جمع بطانته ووزراءه وفيهم ذلك المومن فشاورهم في امر موسى فاتفقوا على ان الراي مماطلة موسى عليه السلام وجمع السحرة لمقاومته ۞ وكان راي فرعون معاجلة موسى بالقتل وبذلك اخبرنا ربنا تقدس اسمه فقال تعلى قالوا ارجه واخاه وارسل في المدائن حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم * وقال عز من قائل وقال فرعون ذروني اقتل موسى الاية ۞ ولما اطلع وزراء فرعون على رايه في موسى عليه السلام امسكوا عن مراجعته هيبة له واشفق ذلك المومن ان يبطش بموسى عليه السلام فعيل صبره وضاق بسره صدره ۞ فقال ما اخبر الله تعلى به عنه اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ۞ ثم كانه استقال وراجع التقية والحذر والتورية ۞ فقال ما اخبر الله عز وجل به عنه وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم ۞ فلما سمع فرعون مقالته غضب وامر به فسجن ثم شاور بطانته ووزراءه في امره فاشاروا بان يبسط العذاب عليه ثم يقتل ليرتدع من كان على مثل رايه فكره فرعون وعطفته عليه القرابة وامر وزراءه ان يصيروا الى ذلك المومن فيعظوه وينصحوه ويامروه بمراجعة ما كان عليه من الطاعة ويخوفوه عاقبة خلافه ففعلوا ذلك ۞ فلما سمع المومن مقالتهم دعاهم الى الله عز وجل وذكرهم بما عاينوه من الايات وحذرهم زوال نعمة

الله عنهم وحلول مكره بهم ۞ فكان منه اليهم ما اخبر الله عز وجل عنه من قوله ياقوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب الاية ۞ وقوله ياقوم اني اخاف عليكم يوم التنادي الاية ۞ وقوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات الاية ۞ وقوله وياقوم مالي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار تدعونني لاكفر بالله واشرك به ما ليس لي به علم الى قوله وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد ۞ فعاد القوم الى فرعون فاخبروه عن المومن بثبوته على المشاققة والمنابذة والمعصية لفرعون وان النصح لم يزده الا تماديا على امره فساء ذلك فرعون وشق عليه فخلا بنفسه مفكرا في ما يفعله فيه فاتته ابنته فسالته عن امره فاطلعها عليه فقالت ان عندي الفرج مما انت فيه فلا تعجل على خاصتك وذوي قرابتك فانه على ما تحب ولاكنه لما راى ان موسى عليه السلام قد امتنع بالسلطان الذي في عصاه علم ان قتله مجاهرة غير ممكن فتظاهر بما انكرته عليه ليخدع بذلك موسى ويتمكن من مخادعته ومداخلته وقتله غيلة فكل ما رايت او سمعت فانما هو مكر بموسى وما منعه ان يطلع وزراءك على ذلك حين ذهبوا اليه الا انهم اهل نميمة وحسد وبغي ولم يطبعوا على مثل وفائه ونصحه فسر فرعون بما قالت والقى الله عز وجل في نفسه تصديقها ۞ ويقال والله اعلم ان ءاسية امراة فرعون هي التي امرتها بذلك ۞ فاحضر فرعون ذلك المومن فاعتذر اليه واكرمه وقال لقد علمت ما انت قاصد اليه وساع فيه فقل ما بدا لك ان تقول وافعل ما بدا لك ان تفعله فلست اتهمك ۞ قال الله تعلى فوقاه الله سيئات ما مكروا فهذه الوقاية هي ثمرة ذلك التفويض ۞ ثم قال ربنا تقدس اسمه وحاق بئال فرعون سوء العذاب اي حاق بهم ما ارادوه بذلك الرجل المومن من التعذيب وان كان عذاب الاخرة لايجتمع مع عذاب الدنيا الا في التسمية ۞ وهذا كقوله تعلى ولا يحيق المكر السيء الا باهله ۞ واعلم رحمك الله واياي ان حقيقة التفويض التسليم لاحكام الله تعلى وهو الذي دل الله سبحانه عليه مصطفاه محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله تعلى

قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المومنون ۞ فاساس التفويض والباعث عليه انما هو اعتقاد انه لايكون من الخير ولا من الشر الا ما اراد الله كونه ولا يصح التفويض ممن لم يعتقد ذلك ويتدين به ۞ وقد بالغ النبي صلى الله عليه وسلم في التصريح به والنص عليه ۞ بقوله لعبد الله ابن مسعود ليقل همك ما قدر ياتيك ومالم يقدر لم ياتك ۞ واعلم ان الخلق لو جهدوا ان ينفعوك بشيء لم يكتبه الله عز وجل لك لم يقدروا علي ذلك ۞ فقوله صلى الله عليه وسلم ليقل همك امر بالتفويض ۞ وقوله ما قدر ياتيك الى ءاخر الكلام بيان العلة التي من اجلها فوض العقلاء وسلموا الى الله عز وجل ونحو ذلك مما رويناه من مسند مسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي هريرة في كلام قاله له وان اصابك شيء فلا تقل لو فعلت كذا لكان كذا ولاكن قل قدر الله وما شاء فعل فان لو تفتح عمل الشيطان ۞ فدله علي التفويض الى الله سبحانه وتعلى والتسليم لامره ۞ ونهاه عن قوله لو لما كان ينافي التفويض الى الله عز وجل ويقتضي الاعتراض على قدرته والتعاطي لدفع مشيئته ۞ ومما رويته من صحيح مسلم عن البرا بن عازب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اخذت مضجعك فتوضا وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الايمن وقل ۞ اللهم اني اسلمت نفسي اليك ووجهت وجهي اليك وفوضت امري اليك والجات ظهري اليك رغبة ورهبة اليك لاملجا ولا منجا منك الا اليك ءامنت بكتابك الذي انزلت وبنبيك الذي ارسلت الحديث ۞

۞ اسجاع وابيات حكمية في التفويض ۞

معارضة العليل طبيبه ۞ توجب تعذيبه ۞ انما الكبير المهاجر ۞ من استسلم في قبضة القاهر ۞ اذا كانت مغالبة القدر مستحيلة ۞ فمن اعوان نفوذه الحيلة ۞ اذا التبست الموارد بالمصادر ۞ ففوض الى الواحد القادر ۞ وان من الدلالة على ان الانسان مصرف مغلوب ۞ ومدبر مربوب ۞ ان يتبلد رايه في بعض الخطوب ۞ ويعمى عليه الصواب المطلوب ۞ فاذا كان كذلك فتدميره ۞ في تدبيره ۞

واغتياله * في احتياله ☼ وهلكته * في حركته ☼ قيـــل كان الحجاج ابن يوسف اذا تعارضت اراوه في خطب من الخطوب انشد ☼

، دعها سماوية تجري على قدر ،، لاتفسدنها براي منك منكوس ،

وقلتـــ في ذلك

* ايامن يعول في المشكلات ،، على مـا رءاه وما دبـره *
* اذا اشكل الامر فابرا بـه ،، الى من يرى منه مالم تره *
* تكن بين عطف يقيك المخوف ،، ولطف يهون ما قـدره *
* اذا كنت تجهل عقبى الامور ،، ومالك حول ولا مقـدرة *
* فلم ذا العنى وعلام الاسى ،، ومم الحذار وفيم الشره *

وقلتـــ في ذلك ايضـا

* يارب مغتبـط ومغـــبوط براي فيه هلكـه *
* ومنافس في مـلك مـا ،، يشقيه في الدارين ملكـه *
* علم العـواقب دونـه ،، ستروليس يرام هتكـه *
* ومعـارض الاقدار بـال ،، ءاراء سيء الحال ضنكـه *
* فكن امرءا محض اليقيـن وزيف الشبهات سبكه *
* تفويضـه توحيـده ،، وعنـاده المقدار شركـه *
* روضـة رايقـة ،، وربـاضـة فايقـة *

قيـل لما بلغ الوليد بن يزيد بن عبد الملك ان ابن عمه يزيد ابن الوليد بن عبد الملك قد اوغر عليه الصدور وشرد عليه القلوب واستجاش عليه اليمن ونازعه رداء ملكه ساعيا في هلكه استوحش من بطانته واحتجب فدعا في عشية من عشايا وحشته خادما لـه فقال له انطلق متنكرا فقف ببعض الطرق وتـامل من يمر بك من الناس فاذا رايت كهلا رث الهيـئة والملبـس يمشي مشيا هونا وهو مطرق فسلم عليه وقل له في اذنه ان امير المومنين يدعـوك فان اسرع الاجابة فاتني به وان تلكا او اعرض اواستراب فدعـه واطلب رجلا غيره حتى تاتيـني برجل على هذا الشرط الذي ذكرت لك فانطلق الخادم فاتاه برجل علي ما وصف وما شرط ☼ فلمـا دخل الكهل على الوليد بن يزيد حياه بتحية الخلافة وهو قايم فامره الوليد بالدنو منه والجلوس وامهله الى ان ذهبت روعتـه وسكن

جاشه ۞ ثم اقبل عليه ۞ فقال اتحسن مسامرة الخلفا ۞ فقال الكهل نعم احسنها يا امير المومنين ۞ فقال له الوليد ان كنت تحسن المسامرة فاخبرنا عنها ما هي ۞ فقال الكهل المسامرة اخبار لمنصت وانصات لمخبر ومفاوضة فيما يعجب ويليق ۞ فقال له الوليد احسنت ايها الرجل لازيدك امتحانا ۞ فقل ينصت لك ۞ فقال الكهل ياامير المومنين ۞ ان المسامرة صنفان لاثالث لهما ۞ احدهما اخبار بما يوافق خبرا مسموعا ۞ والثاني اخبار بما يوافق غرضا مقترحا * واني لم اسمع بحضرة امير المومنين حديثا فاحذو على مثاله ولا اقترح علي امير المومنين سلوك طريقة فانحو نحوها والزم اسلوبها ۞ فقال له الوليد صدقت وها نحن نقترح عليك ونرسم لك رسما لتقتفيه ۞ انا بلغنا ان رجلا سعى فيما يصم ملكنا فاثر سعيه وشق ذلك علينا وبلغ منا مبالغ عظيمة فهل نمى ذلك الى علمك ۞ وقال الكهل نعم ۞ فقال له الوليد قل الان على حسب ما نمى اليك منه وعلى حسب ما ترضى من التدبير فيه ۞ فقال الكهل ياامير المومنين ۞ انه بلغني ان امير المومنين عبد الملك بن مروان لما ندب الناس لقتال عبد الله بن الزبير وخرج بهم متوجها الى مكة حرسها الله تعلى استصحب عمرو بن سعيد وكان عمرو بن سعيد قد انطوى على دغل نية وفساد طوية وطماعية في نيل الخلافة ۞ وكان امير المومنين عبد الملك بن مروان قد فطن لذلك الا انه يبقي عليه لتاكد حرمته واواصر رحمه ۞ فلما فصل امير المومنين عن دمشق وسار عنها اياما واستمر به السير تمارض عمرو بن سعيد فاستاذن امير المومنين عبد الملك في العود الى دمشق فاذن له ۞ فلما دخل عمرو بن سعيد دمشق صعد المنبر فخطب الناس خطبة نال فيها من الخليفة ودعى الناس الى خلعه فاجابوه الى ذلك وبايعوه فاستولى على دمشق وحصن سورها وحمى عورتها وسد ثغورها وبذل الرغايب ۞ فبلغ ذلك عبد الملك بن مروان وهو متوجه لابن الزبير وبلغه مع ذلك ان والي حمص قد نزع يده من الطاعة وان اهل الثغور قد تشوفوا الخلاف عليه فخرج على وزرائه ومعه مخصرة يضرب بها عطفه

فاطلعهم على ما بلغه وقال لهم هذه دمشق دار ملكنا قد استولى عليها عمرو بن سعيد وهذا عبد الله بن الزبير قد استولى على الحجاز والعراق ومصر واليمن وخراسان وهذا النعمان بن بشير امير حمص وزفر بن الحارث امير قنسرين ونايل بن قيس امير فلسطين قد نزعوا ايديهم من الطاعة وبايعوا الناس لابن الزبير وقد تشوف الناس من اهل الثغور للخلاف ۞ وهذه المصرية سيوفها على عواتقها تطالبنا بقتلى المرج ۞ فلما سمع وزراوه مقالته ذهلت عقولهم وعلموا ان لامفر فنكسوا رءوسهم ولم ينطقوا ۞ فقال لهم مالكم لاتنطقون احضروني غناءكم فهذا وقت الحاجة اليكم ۞ فقال له افضلهم اي غناء عندنا في هذا وددت والله ان اكون حرباء على عود من اشجار تهامة حتى تنقضي هذة الفتن ۞ قال الشيخ الامام حجة الدين ابو هاشم محمد بن ظفر عفا الله عنه الحرباء دابة صغيرة طولها اقل من شبر لها قوايم اربع وراس يشبه راس العجل اذا طلعت عليها الشمس قامت على عود او جرثومة او حجر واستقبلت الشمس بعينها وجعلت تراعيها ولا تصرف عنها بصرها حتى تستوي الشمس في اعلا فلكها فتصير على راس الحرباء فلا يمكنها المنظر الى الشمس فتقلق وتضرب بلسانها حنكها كما يفعل من يسوق حمارا فلا تزال كذلك حتى تزول الشمس فتستدير الحرباء فتقابلها ببصرها وتراعيها كذلك حتى تغيب الشمس في مغربها فاذا غربت ذهبت الحرباء تبتغي ما تاكله ليلتها كلها حتى اذا طلعت الشمس عادت لفعلتها ۞ فتمنى هذا الرجل ان يكون حرباء فرارا من تلك الفتن ۞ قال الكهل فلما سمع عبد الملك مقالة صاحبه علم ان لاغناء عند وزرائه ۞ فقام عنهم وامرهم بلزوم مواضعهم وركب من فوره منفردا ۞ وامر جماعة كثيفة من شجعان اصحابه وفرسانهم ان يركبوا في السلاح ويتبعوه مبعدين منه بحيث يرون اشارته ان اشار اليهم ففعلوا ذلك ۞ وسار عبد الملك واتبعه القوم على ما رسم لهم ۞ فلم يزل سايرا حتى انتهى الى شيخ كبير السن ضعيف الجسم سيء الحال وهو يجمع السماق فسلم عليه عبد الملك وانسه بحديث

خفيف * ثم قال له ايها الشيخ الك علم بمنزل هذا العسكر * فقال الشيخ
بلغني انهم نزلوا بموضع كذا * فقال له عبد الملك هل سمعت شيئا مما يقول
الناس في اميرهم * فقال الشيخ ما سوالك عنه ° فقال له عبد الملك اني
اردت اللحاق به والدخول في اصحابه والتعرض للحظوة عنده * فقال
الشيخ ما معناه اني اراك اديبا وضيا * واحسبك حسيبا سريا * فهل
تحب ان انصح لك فيما انت قاصده * فقال عبد الملك ما احوجني الى ما
تقول * فقال الشيخ انه ينبغي لك ان تصرف نفسك عن هذا الامر الذي
ترغب اليه فان الامير الذي انت قاصده قد انحلت عرا ملكه ونابذه
اتباعه واضطربت اموره وان السلطان في حال اضطراب اموره كالبحر في
حال هيجه لاينبغي ان يقرب * فقال عبد الملك ايها الشيخ ان الحنكة
لم تغلب في مغالبة نفسي في كل ما ترغب اليه واني اجدها تنزع
الى صحبة هذا الامير نزعا شديدا ولابد لي من ذلك فهل لك ان
تحسن الي فتخبرني بما تراه من الراي لهذا الامير في تدبيره
هذه الخطوب التي دهته لاعرض ذلك الراي عليه واتنفق به
عنده فلعله ان يكون سببا لقربي منه ۞ فقال الشيخ ان
حكمة الله وعزته ليقضيان ان تحجب العقول والاراء عن النفوذ
في بعض النوازل واني لاظن ان هذه النازلة التي نزلت بهذ
الخليفة من النوازل التي لاتنفذ فيها العقول ولا يمتد الى صواب
تدبيرها الراي واني اكره ان ارد مسئلتك بالخيبة فها انا اقول
في ما سالتني عنه قولا اقضي به حق رغبتك وان كنت لااثق
بنفسي فيه لان الخطب عظيم والخطا فيه يظاهي عظمه ۞ فقال له
عبد الملك قل جزاك الله تعلى خيرا واني لارجوك ان يسددك الله
تعلى ويرشدك ويرشدني بك الى الفلاح ۞ فقال الشيخ ان هذا
الخليفة خرج لمحاربة عدوه فظهر من مشيئة الله عز وجل ان
لايريد ما قصد له والدليل على ان الله تعلى لم يرد قصده لمحاربة
ابن الزبير انه قطعه عن التمادي بما احدثه في دار ملكه من وثوب
عمرو بن سعيد على منبره واستفساده لرعيته واستيلائه على بيوت
امواله وسرير خلافته واني مشير عليك بتفقد حال هذا الامير وانتظار
ما يكون منه فان رايته قد تمادى في ما خرج له واصر على قصد

ابن الزبير ۞ فاعلم انه مخذول فاجتنبه وانما كان مخذولا لان الله سبحانه قد اظهر من حكمته امرا يقطعه عن التمادي لما خرج له فابى الا لجاجا وان رايته قد رجع من حيث جاء وترك ما كان قصد له وخرج اليه فارج له السلامة فانه مستقبل مراجع والله سبحانه اهل لان يقبل من استقاله ويرحم من يرجع اليه ۞ فقال له عبد الملك ياشيخ وهل رجوعه الى دمشق الا كمسيره لابن الزبير اذ كان قد ظهر من حكمة الله ومشيئته ان قبض قلوب رعيته التي بدمشق عن موالاته وبسط ايديهم بالبيعة لغيره فمسيره لابن الزبير كرجوعه لعمرو بن سعيد لان كل واحد منهما حاصل على مملكة متبعة ۞ ورعية مطيعة ۞ فقال له الشيخ ان الذي اشكل عليك لواضح بين وها انا ازيل عنك اللبس ان عبد الملك اذا قصد ابن الزبير كان في صورة ظالم له لان ابن الزبير لم يعطه طاعة قط ولا وثب له على مملكة وهو اذا قصد عمرو بن سعيد كان في صورة مظلوم لان عمرو بن سعيد نكث بيعته وخان امانته وافسد رعيته وحملهم على النكث والغدر ووثب على دار ملك لم تكن له ولا لابيه بل كانت لعبد الملك ولابيه من قبله وعمرو بن سعيد عليها متعد ولها مغتصب ۞ وانه كان يقال سمين الغضب مهزول * ووالي الغدر معزول * وجيش العدوان مفلول * وغرس الطغيان مثلول ۞ وسا ضرب لك مثلا يشفي النفس وينفي اللبس واودعه من فقر الحكم والاداب ۞ ما يشحذ الفطن والالباب ۞ ويسفر عن وجه الصواب ۞ يحكى ان ثعلبا كان يدعى ظالما وكان له جحر ياوي اليه وكان مغتبطا به لايبغي عنه حولا فخرج يوما يبتغي ما ياكل ثم رجع فوجد فيه حية فانتظر خروجها منه فلم تخرج فعلم انها قد اوطنت وذلك لان الحية لاتتخذ جحرا وانما تدخل الجحر فتغصبه وتطرد عنه ما كان فيه من الحيوان ۞ قيل في ذلك ۞

* وانت كالافعى التي لاتحتفر ٭ ثم تجي سادرة فتنجحر *

فلذلك قالوا ان فلانا اظلم من حية فهذا ظلمها ۞ ولما راى الثعلب ان الحية قد اوطنت جحره ولم يمكنه الكون معها ذهب يطلب

له ماوي فانتهى به التطواف الى جحر حسن الظاهر حصين الموضع في ارض خصيبة ذات اشجار ملتفة وماء معين فاعجبه وسال عنه فاخبر ان ذلك الجحر لثعلب يدعى مغوضا وانه ورثه عن ابيه فناداه ظالم فخرج اليه ورحب به وادخله الجحر وساله عما قصد له فقص عليه خبره وشكا اليه ما ناله فرق له مغوض ثم اقبل عليه فقال له ان من الهمة ان لاتقصر عن مطالبة عدوك وان تستفرغ جهدك في ابتغاء دفعه وهلكه ۞ وانه كان يقال من تهيب عدوه فقد جهز الى نفسه جيشا ۞ وكان يقال رب حيلة انفع في النصر من قبيلة ۞ وكان يقال الموت في طلب الثار خير من الحياة في العار ۞ وكان يقال اذا طلبت عدوك بالقوة فلا تقد من عليه حتى تعلم ضعفه عنك واذا طلبته بالمكيدة فلا يعظمن امره عندك وان كان عظيما والراي عندي ان تنطلق معي الى ماواك الذي انتزع منك غصبا حتى اطلع عليه فلعلي اهتدي الى وجه مكيدة في تمكنك منه فان افضل الراي ما اسس على الروية ۞ ولهذا قيل يفسد الراي بثلاثة اسباب ۞ احدها ان تكثر الشركاء فيه فاذا كان كذلك انتشر التدبير وبطل ۞ والثاني ان يكون الشركاء في التدبير متحاسدين متنافسين فيدخله الهوى والبغي فيفسد ۞ والثالث ان يملك التدبير من غاب عن الامر المدبر دون من باشره وشاهده فاذ كان ذلك كذلك دخله حقد المباشر الحاضر وفوت الغرض ۞ ثم ان تدبير المسموعات موسس على ظنون الخبر وتدبير المبصرات موسس على يقين النظر فانطلقا معا الى ذلك الجحر فتامله مغوض وعلم ما اراد علمه من امره ثم اقبل على ظالم فقال له قد شاهدت من امر مسكنك ما فتح لي باب المكيدة وسفر لي عن وجه الراي فيه فقال له ظالم اطلعني على ما ظهر لك فقال مغوض ان اضعف الراي ماسنح في البديهة ۞ وانه كان يقال الراي مرءاة العقل فمن اردت ان ترى صورة عقله فاستشره ۞ وكان يقال الراي سيف العقل ولما كان امضى السيوف ما بولغ في ارهاف حده واجيد صقله كان انجح الاراء ما كثر امتحانه واطيل

تامله ۞ وكان يقـــال افضل الراي ما اجادت الفكرة نقده واحكمت الروية عقده * وكان يقـال كل راي لم تتمخض به الفكرة ليلة كاملة فهو مولود لغير تمـام ۞ ثـم قال له انطلق مـعي فبت الليلة عندي لانظر ليلتي هذه فيما سنح لي من المكيدة ففعلا وبات مغوض مفكرا في ذلك وجعل ظالم يتامل مسكن مغوض فراى من سعته وطيب تربته وحصانته وكثرة مرافقه ما اشتـد اعجابا به وحرصا عليه وطفق يدبر الحيلة في غصبه ونفي مغوض عنه ۞ وكان يقال اللئيم كالنار اكرامها اضرامها وكالخمر حبيبها سليبها وتبيعها صريعها ۞ وكان يقال اذا كانت الاساءة طبعا لم يملك لها الاحسان دفعا ۞ وكان يقال العاقل يقدم التجريب على التقريب * والاختبار على الاختيار * والثقة على المقة * فلمـا اصبحا قال مغوض لظالم اني رايت ذلك الجحر بموضع بعيد من الشجر والخضر فاصرف نفسك عنه وهلم اعنك على احتفار مسكن بهذا المكان المتيسر الموافق فقـال له ظالم ان هذا لايمكنني لان لي نفسا تهلك لبعد الوطن حنينـا * ولا تملك مع فقد السكن سكونا * وانه كان يقال دلائل الوفا سبع * بر الابا والامهات * وصلة ذوي القرابات * والنزع الي الوطن * والجزع لفقد السكن * والحزن لاخلاق الشباب * واللبس لاخلاق الثياب * والصبـر على هرم الدواب * وكان يقـال الغريب ميت الاحيا وقد اعاده البين * اثرا بعد عـين * قيـل ان حروف اسم الغربة مجموعة من اسماء تدل على محصول الغربة * فالغـين من غرب وغيبة وغبن وغم وغلة وهي حرارة الحزن والضما وغول وهي كل مهلكـة في اشباه لهذه الاسمـا * والراء من رزء وروع وردى وهو الهلاك في اشباه لهذه الاسمـا * والباء من بلوى وبوس وبعد وبرح وهي الداهيـة وبوار وهو الهلاك في اشبـاه لهذه الاسمـا * والهاء من هجر وهم وهول وهون وهـلك * فلمـا سمع مغوض مقالة ظالم وما تظاهر به من الرغبة في مسكنه ووطنه قال له ارى ان نذهب يومنا هذا فنحتطب حطبا ونربط منه حزمتين فاذا اقبل الليـل انطلقت انا الي بعـض هذه الخيـام فاخذت قبس نار واحتملنـا القبس

والحطب وقصدنا الى مسكنك فجعلنا الحزمتين على بابه واضرمناه
نارا فان خرجت الحية احترقت وان لزمت الجحر اهلكها الدخان
فقال له ظالم نعم الراي هذا فانطلقا فاحتطبا وربطا من الحطب
حزمتين بقدر ما يطيقان حمله ولما جاء الليل واوقد بعض اهل
الخيام النار انطلق مغوض لياخذ قبسا فعمد ظالم الي احدى الحزمتين
فازالها الي موضع غيبها فيه ثم جر الحزمة الاخرى الى باب
مسكن مغوض ودخل وجذبها اليه فادخلها في الباب وسده
بها وقدر في نفسه ان مغوضا اذا اتى الجحر لم يمكنه الدخول اليه
لحصانته ولان بابه مسدود بالحطب سدا محكما فاكثر ما يقدر عليه
ان يحاصره فاذا يئس منه ذهب فنظر لنفسه ماوى وقد كان
ظالم راى في جحر مغوض اطعمة قد ادخرها مغوض لنفسه فعول
ظالم على الاقتيات منها في مدة الحصار واذهله الشره والحرص
والبغي عن فساد هذا الراي وانه متعرض لمثل ما عزم مغوض
ان يفعله بالحية ° وكان يقال احترس من تدبيرك على عدوك
كاحتراسك من تدبير عدوك عليك فرب هالك بما دبر ومكر ° وساقط
في البير التي احتفر ° وجريح بالسلاح الذي شهر ° ثم ان مغوضا
جاء بقبس نارا فلم يجد ظالما ولم يجد الحطب فظن ان ظالما قد
احتمل الحزمتين معا تخفيفا عنه وانه بادر بهما نحو جحره اشفاقا ان
ياتي مغوضا فيحمل احديهما فشق عليه ذلك فظهر له من الراي
ان يترك القبس ويلحقه ويبادر اليه ليحمل الحطب معه والقى
القبس من يده ثم كره ان تنفده الريح فيحتاج الى طلب قبس
اخر فادخله في باب الجحر ليستره بذلك فاصاب الحطب فاضرمه
نارا واحترق ظالم في الجحر وحاق به مكره ° فلما اطلع مغوض
على امر ظالم قال ما رايت كالبغي سلاحا اكثر عمله في متحمله
° ولهذا قيل الباغي باحث عن مدية حتفه بظلفه ومتردٍ في
مهاوي تدميره بمساوي تدبيره ° وقيل ما اجتمع الملك والبغي
على سرير الاخلي ° وقيل لكل عاثر راحم الا الباغي فان القلوب
مطبقة على الشماتة بمصرعه ° وقيل ما اعطي البغي احدا شيئا
الا اخذ منه اضعافه ° ثم ان مغوضا امهل حتى طفئت النار

فدخل جحره فاستخرج جيفة ظالم فالقاها واوطن جحره على حال تحفظ واحتراس واستعداد لكيد الكائدين ۞ فهذا مثل عمرو ابن سعيد في بغيه ومخادعته عبد الملك ومخالفته الى دار ملكه وتحصنه فيها وقد كان عبد الملك في مخرجه الى محاربة ابن الزبير عاملا في ما يزيد عز عمرو بن سعيد وبقاء الملك في اهل بيته وخروجه عن ابن الزبير اذ كان عز عبد الملك عزا لعمرو بن سعيد وملكه ملكا له فلم يرض عمرو سعيه ولا اعانه على مصلحة نفسه وفعل كفعل ظالم مع مفوض سواء ۞ فلما سمع عبد الملك ما ضربه الشيخ من المثل واستبصر فيما اودعه من الحكم سر بذلك سرورا عظيما ۞ واقبل على الشيخ فقال له جزيت خيرا فقد عظمت يدك عندي واني لاوثر ان تجعل بيني وبينك موعدا او تذكر لي مكانك لالقاك به بعد يومي هذا ۞ فقال له الشيخ وما الذي تريد بذلك ۞ فقال عبد الملك المومل ان انتفع برايك عند الامير فاكافيك على ما كان منك ۞ فقال الشيخ اني اعطيت الله عهدا ان لا احمل منة لبخيل ۞ فقال عبد الملك من اين علمت بخلي ۞ فقال له الشيخ وكيف لا اعلم ذلك وقد ارجات صلتي ومكافاتي مع القدرة على تعجيلها فما عليك لو وصلتني ببعض ما ارى عليك من السلاح والبزة السنية ۞ فقال له عبد الملك اقسمت بالله تعلى لقد ذهلت ثم نزع سيفه وقال اقبل مني سيفي هذا ولا تخدع عنه فان قيمته عشرون الف درهم ۞ فقال له الشيخ اني لااقبل صلة ذاهل فدعني وربي الذي لايذهل عني ولا يبخل هو حسبي ۞ فلما سمع عبد الملك مقالته علم فضله في دينه وقال له اني انا عبد الملك فاعتمدني وارفع الي حوايجك ۞ فقال له الشيخ وانا ايضا عبد الملك فهلم نرفع حوايجنا الى من انا وانت له عبدان فانطلق عبد الملك وعمل براي الشيخ فانجح ۞ فلما سمع الوليد ابن يزيد ما اخبره ذلك الكهل استرجح عقله واستضرف ادبه وساله عن نفسه فتسمى له وانتسب فلم يعرفه الوليد فاستحيا منه وقال له ان من جهل مثلك في رعيته لمضيع ۞ فقال الكهل ياامير المومنين ان الملوك لاتعرف الا من تعرف اليها ولم يفارق

ابوابها ۞ فقال له الوليد كلا والله فلا توسعنا عذرا لانستحقه ثم امر له بصلة معجلة وعهد اليه في ملازمته ببابه عهدا فكان يستمتع من ادبه وحكمته الى ان كان من امر الوليد ما كان ۞

،، روضة رائقة ،، ورياضة ذوقية ،،

قيل لما عزم امير المومنين محمد الامين على اخراج عهد الخلافة عن اخيه عبد الله المامون والمامون اذذاك مقيم بخراسان كتب اليه الامين كتابا يذكر فيه حاجته الى لقائه ومفاوضته في مهم حدث وساله ان يستنيب بخراسان من يضبطها ويعجل الشخوص الى بغداد وكتب الى المامون عيونه الذين ببغداد ان الامين يريد خلعه عن عهد الخلافة ونقل عهده الى موسى بن محمد الامين ۞ فلما وقف المامون علي ما كتب به اخوه وعيونه اليه شاور وزراءه فاشاروا عليه بالتثبت والتعلل والاعتذار بشغب خراسان وتطلع من يليها من الكفار الى الفرصة فيها وانه لايجد من يثق بكفايته لامرها ۞ فكتب المامون الى الامين بذلك فعاوده الامين بمكاتبة يستحثه وانه لو قدم عليه لقل لبثه ببغداد حتى يرجع وانما يريده كي يفاوضه في خطب جسيم لايودع مثله الكتب فحين انتهى كتابه الى المامون اطلع عليه وزراءه واستشارهم فاشاروا عليه بمثل رايهم الاول فكتب الى الامين بنحو ما كتب اليه اولا وكتب الى الامين عيونه بخراسان ان المامون قد فطن لما يراد منه وانه ممتنع ومشاقق وان وزراءه قد اشاروا عليه واجمعوا على امره بالامتناع فائس الامين من تمام مكيدته لاخيه فامر بالقبض على من ببغداد من حشم المامون وحرمه وبطانته وما ظهر عليه من احواله وبلغ ذلك المامون فخامره الجزع وشاور وزراءه فثبتوا على رايهم وحضوه على التثبت وانتظار الفرج ففعل ۞ ولما راى الامين اصرار اخيه على الامتناع دعا الناس الى البيعة لابنه موسى وهو طفل فاجابوه الى ذلك وبايعوا له وسماه الناطق بالحق واستكفل له علي بن عيسى بن ماهان فجعله في حجره وكان علي بن ماهان قد ولي خراسان قبل ذلك بمدة طويلة فاصطنع بها الرجال وقلد المنن في الاعناق وكان شانه بخراسان عظيما

فاستشاره الامين في امر خراسان فضمن له امرها واخبره انه لو بلغ خراسان لم يختلف عليه اثنان ممن بها فجهزه الامين وولاه كل بلد تغلب عليه واعطاه اموالا جزيلة وجهز معه جمهور جنوده واصحابه ومن السلاح والكراع ما شاء فبلغ المامون ذلك فاضطرب امره وعلم عجزه عن مقاومة علي بن عيسى فركب الى متنزه له ليناظر وزراءه في تدبير امره فعرضه شيخ هرم من الفرس مجوسي فناداه بالفارسية مستغيثا به من مظلمة نالته فلما نظر المامون الى هرمه رق له وامر بان يحمل على دابة ويتبع به الى الموضع الذي قصده ويدخل عليه بغير استيذان ❁ فلما استقر المامون ووزراءه بذلك الموضع الذي قصدوا اليه ادخل عليه الشيخ الفارسي فامره بالجلوس في حاشية المجلس ثم اقبل على اصحابه فاخبرهم بما صنعه اخوه الامين من القبض على حاشيته وماله وتجهيزه علي بن عيسى وهو يظن ان الشيخ الفارسي لايحسن اللسان العربي وان ما به من الهرم شاغل له عن الاصغاء الى ماهم فيه مع ما حمله من ذلك القلق والاضطراب ❁ فلما راى القوم ان المامون لم يتحفظ من الشيخ تفاوضوا في ما جلسوا اليه فطالت فكرتهم ومناظرتهم في ذلك الى ان قال احدهم الراي اصطناع قوم من الاغشام الذين لايعرفون علي بن عيسى فيلقى بهم ❁ وقال غيره الراي ان نبادر بالارسال الى الامين بطلب الصلح وبذل الانقياد لامره فانه يرى ذلك حظا ❁ وقال غيره الراي ان نلجا لبعض المعاقل فنعتصم به وننتظر الفرج ❁ وقال غيره الراي ان نجمع اهل النجدة فنزيح عللهم ثم نقصد بهم هذه المعاقل المجاورة لنا من ممالك الكفار فنصدقهم القتال ولعل الله تعلى ان يظفرنا بهم فنصير الى مملكة تاوينا وينزع الينا من هو على مثل راينا فنمتنع ونجاهد في سبيل الله حتى يقضي الله عز وجل امره ❁ وقال غيره الراي عندي ايها الامير ان تنحاز الى ملك الترك مستجيرا به ومستغيثا على اخيك الغادر القاطع فهذا امر لم تزل الملوك تفعله اذا دهمها مالا قبل لها به ❁ فلما سمع المامون هذه المقالة ركن اليها وعول على هذا الراي ثم فكر فقال كيف اجعل للترك على حرب

المسلمين سبيلا وقال لاصحابه قوموا عني فنهضوا اجمعين فراى الشيخ الفارسي فقربه ورفق به وسال عن امره وما قصد له على لسان ترجمان اقامه له ۞ فقال الشيخ بلسان عربي ايها الامير اني جئت لحاجة فعرض لي دونها ما هو اكد منها واولى بالعناية ۞ فقال المامون قل ما احببت سالكا سبيل الادب ۞ فقال الشيخ ايها الامير اني دخلت عليك واني غير متصف بالمحبة لك ثم قد القى الله تعلى في قلبي من المحبة لك ما ملاه ۞ وانه كان يقال الرق ثلاثة انواع ۞ فاولها واشدها استيعابا للباطن والظاهر رق الاختراع وهو الرق لله تعلى صانع الموجودات ومخترعها ۞ والثاني رق الاصطناع وهو رق المنعم عليه للمنعم ۞ والثالث رق الاتباع وهو صنفان ۞ احدهما رق الحب وهو اقربها الى رق الاختراع لان لها سلطانا مبسوطا على الظاهر والباطن ۞ والثاني رق الرعية لراعيها ورق العبيد لساداتها وانا اخبر الامير اعزه الله تعلى انه قد تظافرت له علي ثلاث قوى من الرق رق الحب ورق الاصطناع ورق الاتباع فان راى الامير اعزه الله ان يقبل وسيلتي ويصدق املي ويسعف طلبتي فيلحقني رداء اختصاصه ويكرمني بمكاثرة اوليائه ونصحائه فعل ذلك متطولا به غير محتاج اليه وان عبده ليرجو ان نصادف الصنيعة منه شاكرا والاختصاص منه مشفقا ناصحا ۞ فقال المامون ما دينك ايها الشيخ فقال مجوسي فاطرق المامون مفكرا في ما تكلم به ۞ فقال الشيخ لايصدن الامير عني حقارة قدري ۞ فانه كان يقال لاتحقرن من الاتباع احدا فانه ينتفع به كائنا ما كان وهو احد الرجلين اما شريف فتتجمل به او وضيع فيحمى عرضك ويصون مرتبتك وعلى اني لااعني بحقارة قدري عند الامير حقارة اخلاق ولا حقارة اعراق فاما اخلاقي فامتحانها بيد الامير واما اعراقي فاني برهمي من ولد البرهمي سيد ملوك الفرس المتوسط بينها وبين اول الاوائل وانما اعني حقارة ديني عند الامير وكوني في عقد ذمة وصغار جزية ۞ فقال له المامون ما بنا عنك من رغبة وان انتقلت من ذمتنا الى ملتنا التحفناك شعارا ۞ فقال الشيخ ان الباعث من

نفسي الى ما دعاني اليه الامير لشديد ولاكني لا افعله في مقامي هذا ولعلي ان افعله في ما بعده ۞ ثم قال ايأذن لي الامير ان اتكلم في ما فاوض الان وزراءه فيه ۞ فقال له المامون تكلم ايها الشيخ ۞ فقال الشيخ قد سمعت ما اشار به وزراء الامير وكل منهم مجتهد في الاصابة واست ارضى شيئًا مما ذهبوا اليه ۞ فقال المامون اطلعنا على رايك ۞ فقال الشيخ اني اجد في الحكم التي ورثها اباءي عن ءابائهم انه ينبغي للعاقل اذا دهمه مالا قبل له به ان يلزم قلبه التسليم لحكم قاسم الحظوظ ولا يضيع مع ذلك نصيبه من الدفاع بحسب الطاقة فانه ان لم يحصل على الظفر حصل على العذر ۞ فقال المامون ايها الشيخ انه كان يقال لاراي لكذوب وقد سمحت انفسنا لك بالثقة من غير امتحان وما ذاك لاختيارنا اضاعة الحزم ولاكنا احببنا ان نذيقك ثمرة حبنا بالمكاشفة الدالة على القبول وها نحن نخبرك ان الرجل المتوجه الينا يعني عليا بن عيسى هو املك بالبلد منا ثم لايمكننا مقاومته ولو اردنا ذلك لعجزنا عنه لتعذر الاموال قبلنا ۞ فقال الشيخ ايها الامير ينبغي لك ان تمحو هذا الامر من قلبك بالجملة وان لا تصغي الى من ينطق به ۞ فانه كان يقال ما كثر من كثره البغي ولا قوي من قواه الظلم ولا ملك من ملكه الغصب وها انا احدثك عن ما تقدم حديثا ان حذوت مثاله نلت مناله ۞ فقال له المامون هات ۞ فقال الشيخ ان الخنشوار ملك الهياطلة لما اسر فيروز بن يزدجرد ملك فارس واراد اطلاقه اخذ عليه عهدا انه لايغزوه ولا يقصده بمكروه ووضع في اقصى تخوم ارض الهياطلة صخرة عظيمة واخذ على فيروز عهدا ان لايتجاوز تلك الصخرة فلما استوثق الخنشوار من فيروز بما اخذه عليه من عهود المسالمة اطلقه فحين رجع فيروز الى دار ملكه تداخلته الحمية والانفة فعزم على غزو الخنشوار واطلع وزراءه على ذلك فحذروه النكث وخوفوه عاقبة البغي فما ردعه ذلك عما هم به فاذكروه العهود التي اخذها عنه الخنشوار فقال لهم اني انما حلفت له ان لا اتجاوز تلك الصخرة وانا ءامر بحملها على فيل

فتكون بين يدي جنودي ولا يتجاوزها احد منهم ۞ فلما راوا ان الهوى قد وقف به على حد الرضى بهذا القول علموا انقياد عقله لشهوته فامسكوا عنه واعتقدوا ان لايراجعوه في ذلك ۞ وكان يقال من اعجب برايه زل ومن تكبر على الناس ذل ۞ وكان يقال الهوى صدا يعلوالعقل فلا تنطبع فيه الحقايق ۞ وكان يقال مالم يبلغ الهوى حد اللجاج فهو نشوة السكر فاذا بلغ اللجاج فذلك زين السكر وقوة سلطانه ۞ وكان يقال لاترشد تابع الهوى في حال استيلاء الشهوة او الغضب عليه لانه حال احتجاب عقله وذلك ان الهوى املك بالنفس لتقدم سلطانه عليها فاما سلطان العقل فطاري مستفاد وللعقل حجابان وهما الشهوة والغضب ولا يزال العقل ناظرا الى الهوى قاهرا له مالم يحجبه غضب او شهوة فحينئذ يتسلط سلطان الهوى وينفذ حكمه ۞ قال الشيخ فجمع فيروز مرازبته وهم اربعة يتبع كل مرزبان منهم خمسون الف مقاتل وكان كل واحد منهم حافظا لربع من من ارباع مملكة بابل وامرهم بالتجهز لحرب الهياطلة ففعلوا وسار فيروز نحو الخنشوار في جيوش يظن ان لا غالب لها وكان الخنشوار يضعف عن مقاومة مرزبان واحد من مرازبة فيروز وانما كان ظفر بفيروز اولا بمكيدة ليس هذا موضع ذكرها وقد كان موبذان موبذ ومعنى هذا اللقب حافظ حفظة الدين وهو عند الفرس كالنبي قال لفيروز حين راى عزمه على غزو بلاد الخنشوار لاتفعل ايها الملك فان رب العالم يمهل الملوك على الجور ما لم ياخذوا في هدم اركان الشريعة فاذا اخذوا في ذلك لم يمهلهم وان العهود والمواثيق ركن من اركان الشريعة فلا تعرض لها بسوء فلم يلتفت فيروز الى هذه المقالة وركب راسه في هواه ومعصية نصحائه ۞ وكان يقال يستدل على ادبار الملك بخمسة امور ۞ احدها ان يستكفي الملك بالاحداث ومن لاخبرة له بالعواقب ۞ والثاني ان يقصد اهل مودته بالاذى ۞ والثالث ان ينقص خراجه عن قدر مؤونة ملكه ۞ والرابع ان يكون تقريبه وابعاده للهوى لا للراي ۞ والخامس استهانته بنصائح العقلاء واراء ذوي

الحنكة ۞ وكان يقال من عصى نصيحا فقد استفاد عدوا ۞ وكان يقال انما يكون قبول الصواب وورده بحسب قوة التخيل الفكري وضعفه فمن قوي تخيل فكره فهو في سلطان الراي غالبا ومن ضعف تخيل فكره فهو في سلطان الهوى مغلوبا وعلى حكم هذا القانون فمن عدم الفكرة في الامور التحق بالبهايم ۞ قال الشيخ الفارسي وان فيروز سار قاصدا نحو الخنشوار حتى انتهى الى تلك الصخرة التي نصبها الخنشوار علما لتخوم ارضه واستحلف فيروز عليها ان لا يتجاوزها امر فيروز بقلعها وحملها على فيل وان يكون الفيل الذي يحملها بين يدي عسكره ونهى ان يتجاوز ذلك الفيل احد من العسكر فما بعد عن ذلك الموضع الذي كانت الصخرة فيه الا قليلا حتى جاءه رجل من ثقات اصحابه اخبره ان اسوارا عظيم القدر من اساورته قتل رجلا مسكينا ظلما وعدوانا وجاء اخو ذلك المسكين المقتول فاستغاث بفيروز وتظلم من الاسوار قاتل اخيه فامر له فيروز بمال ليرضيه به عن دم اخيه فابى قبول المال وقال لايرضيني الا دم قاتل اخي فامر فيروز بطرده فانطلق من فوره الى ذلك الاسوار الذي قتل اخاه فشد عليه بخنجر في يده فلما رءاه الاسوار حرك فرسه هاربا بين يديه فانتهى الخبر الى فيروز فتعجب من ذلك فنزل وزير من وزراء فيروز عن دابته وتقدم بين يدي دابة فيروز فسجد له فسأله فيروز عن امره فذكر انه يريد الخلوة به في مهم عرض له فامر فيروز فضرب له فسطاط ونزل فيه واذن لذلك الوزير فدخل عليه فامره بذكر ما عنده ۞ فقال ايها الملك السعيد ملكت الاقاليم السبعة وتمت نعم بنوا راسف في مثل عزته وقوته لقد ظهرت عناية اول الاوايل بك بما ضربه لك من المثل في امر هذا الاسوار اذ كان اسوارا جلدا هرب من بين يدي مسكين في يده خنجر وما ذاك الا لبغيه وتعديه ۞ فقال فيروز انه لم يفر منه لعجزه عنه بل لخوفه منا ولم يكن ليفعل تلك الفعلة القبيحة ثم يشفعها بمثلها ۞ فقال الوزير ايها الملك ارايت ان دعوته الى مبارزة

ذلك المسكين وامتنه من سطوتك فظهر ذلك المسكين عليه وقتله اما تعلم ان هذا مثل ضربه لك الله قيم العالم ۞ فقال الملك لافعلن ذلك ثم انه احضر الاسوار فامنه وامره بمبارزة ذلك المسكين الثاير باخيه فاجاب الى ذلك وجمع عليه سلاحه وركب فرسه فاتي بذلك المسكين فعرضت عليه مبارزة الاسوار فاظهر الرغبة فيها والحرص عليها لخوف من الهلاك فلم يخف فقيل له اما ترى درعه وسلاحه وفرسه اما سمعت بفروسيته ونجدته واقدامه انك مهلك نفسك ومستميت لها ولا اثم علينا فيك فقال لهم المسكين دعوني واياه فانه على فرس الغرور وانا على فرس البصيرة وهو لابس درع الشك وانا لابس درع الثقة وهو مقاتل بسيف البغي وانا مقاتل بسيف الحق ۞ فقال الوزير لفيروز ايها الملك ان كلام هذا المسكين ابلغ في المثلبة والموعظة من ظفره بهذا الاسوار فصن اسوارك واستبق نفسك ولا تعرضه للهلكة بلقاء هذا المسكين واعمل في رضاء هذا المسكين بالاحسان اليه فان لم يرض الا القصاص فاقتص له بالعدل المالوف منك واستدم عناية الاول الاحد بك بعنايتك بالحق الذي يرضيه العمل به وبسخطه اجتنابه ۞ فقال فيروز لابد ان اخلي بينهما وانظر الى ما يكون منهما فان كان المسكين يختار ذلك ويرغب فيه فاعادوا مبارزة الاسوار على المسكين فاصر على الرغبة فيها والحرص عليها وخوفوه الهلاك فلم يزده تخويفهم الا جراءة واقداما فقيل للاسوار القه ولا تجبن عنه فحمل كل واحد منهما على الاخر فالتقيا وقبض المسكين على شكيمة فرس الاسوار فضربه الاسوار بالسيف ضربة تطاطا لها المسكين فاصاب ذباب السيف اليته فاثر فيها اثرا ليس بالكبير ثم ثار له المسكين فضربه بخنجر في عنقه وجذبه فصرعه ثم ضربه وهو ملقى ضربة اخرى فادخل حلقات من الدرع في جوفه فقضي عليه فبات فيروز تلك الليلة في موضعه ذلك يفكر فيما ياتيه ثم انه استقاد لهواه فنفذ لوجهه ۞ وكان يقال اول الهوى هوان واخره هون ۞ وكان يقال الهوى طاغية فمن ملكه اهلكه ۞ وكان يقال الهوى كالنار اذا استحكم اتقادها

عسر اخمادها وكالسيول اذا اتصل مدها تعسر صدها ۞ وكان يقال ليس الاسير من اوثقه عدوه اسيرا انما الاسير من اوثقه هواه قسرا وارهقه خسرا ۞ قال الشيخ ولما بلغ الخنشوار قصد فيروز حمل نفسه على التثبت ووكل الامر الى الواحد الاحد وساله ان يغضب لعهوده ومواثيقه التي لم يرع فيروز حقها ولا خاف تبعة نكثها واخذ مع ذلك بحظه من الحزم فسد ثغوره وجمع اليه جنده واعتد للقاء فيروز عدته وامهله حتى وطى فيروز كثيرا من ارضه وتوسط مملكته وعاث في بلاده وساء على رعيته امره فنهض اليه ففجاه وصدقه الجهاد فانكسر فيروز منهزما واسلم من كان في يده فقتل الخنشوار رجاله وغنم امواله وامعن في طلب فيروز حتى ظفر به فقتله واسر اهل بيته وحماته واصحابه فكانت العاقبة لهم ۞ قيل فلما سمع المامون ما ضرب له الفارسي به مثلا اقبل عليه مستبشرا وقال قد سمعنا مقالتك فصادفت منا قبولا لها وشكرا عليها وسرورا بها فماذا ترى فيما دعوناك اليه من توحيد الله عز وجل الذي اجزل من العقل حظك وفتق بالمعرفة فكرك وانطق بالحكمة لسانك وقطع بمحمد صلى الله عليه وسلم عذرك ۞ فقال الشيخ اشهد ان لااله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فسر المامون باسلامه سرورا عظيما واجزل صلته وقرب منزلته والحقه بخواصه وامر بملازمته فما لبث الا اياما قلايل حتى لحق بربه وعمل المامون برايه فانجح الله تعلى عمله وبلغه من الخلافة امله ۞

السلوانة الثانية

وهي سلوانة التاسي ۞ انزل الله ربنا تقدس اسمه من السورة المذكورة فيها الاحزاب ءايات معجزات طبقن المقصود بهذا الكتاب وهو تاسي الملوك في طوامر العوام والله ربنا المحمود على الهداية اليها والدلالة عليها وذلك ۞ قوله سبحانه وتعلى في المتالبين على خليفته في ارضه * الداعي الى مندوبه وفرضه * صلى الله عليه وسلم تسليما اذ جاءوكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر ۞ وقوله هنالك ابتلي

المومنــون وزلزلوا زلزالا شديدا ۞ وقولــه في تردد من ضعفت
بصيرته حينئذ وتظنون بالله الظنون ۞ وقوله في نجوم النفاق
وجراة اهله على اظهار ما كانوا يسرونه حين راوا ان المومنين قد
ابتلوا وزلزلــوا زلزالا شديدا واذ يقــول المنافقــون والذين في
قلوبهــم مرض مــا وعدنا الله ورســوله الا غرورا ۞ وقــوله في
القاعدين عن نصرة الحق المخذلين لمن اراد نصرته قد يعلم
الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا الايــة ۞ وقوله
تعلى فيهم واذ قالت طائفة منهم يااهل يثرب لامقام لكم
فارجعوا ۞ وقوله تعلى في المتسللين لواذا ويستاذن فريق منهم
النــبيء يقولون ان بيوتنا عورة ومــا هي بعورة ان يريدون الا
فــرارا ۞ وقــوله تعلى في تجار اسواق الفتن الذين يتبعون
كل ساع ويستجيبون لكل داع ولو دخلت عليهم من اقطارها ثم
سئلوا الفتنة لاتوها الايــة ۞ وقوله تعلى في تعجيز البشر عن
مغالبــة القدر قل لن ينفعكم الفرار ان فررتــم من الموت او
القتل الايـــة والتي بعدها ۞ وهي قوله سبحانه وتعلى قل من ذا
الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمــة
الايــة ۞ فهـــذه جهل طوام العوام والامتحان بها ۞ ثم ان
الله سبحانه دل من امتحن بها على ما ادب به رسوله صلى الله
عليه وســلم بقوله تعلى لقد كان لكم في رسول الله اســوة
حسنة ومما ادب الله تعلى به رسوله صلى الله عليه وســلم في
التــاسي ۞ قوله عز من قائل ولقد كذبت رسل من قبلك
فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتيهم نصرنا ۞ ثــم عرف
الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم ان اضاعته التاسي وتركه
العمل به لا يجلب اليه حظــا ۞ فقـــال عز من قائل وان كان
كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتـــغي نفقا في الارض او
سلما في السمـــاء فتاتيهم بءاية ۞ واعلمه ان التـــاسي بهم فرض
عليـــه ۞ بقوله تعلى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ۞
وقوله اولئك الذين هدى الله فبهديهم اقتــده ۞ فهـذا امر
جزم وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسـلم انه قال ان الله

ادبني فاحسن تاديبي ۞ فالتـــاسي مما ادب الله تعلى به رسولـه صلى الله عليه وســـلم بل مما افترضه عليه كما بينـــا ۞ ومعـنى التـــاسي عند الايمة ان تنظر الي اسا غيرك اي حزنه وانه مثل اساك اي حزنك فتصبر فالاسى هو الحزن وليس هذا يعجبني وانما هو عندي مــاخوذ من قولهم اسوت الجرح اي داويته والاسى هو الطبيب المداوي فكان معنى التـــاسي التطبب والتداوي بالصبر والاسوة اسم من هذا والتـــاسي تفعل من الاسوة ولو كان على مـــا ذهبوا اليه لـكان معنى التـــاسي التحزن تقول اسيت اي حزنت وتاسيت اي تحزنت * خـــبر نبـــوي * مما روينـــاه ان النـــبي صلى الله عليه وسلم قال انظروا الي من هو اسفل منكم ولا تنظروا الي من هو فوقكم فانه اجدر ان لاتزدروا نعمـــة الله عليكم ۞ قـــال الشـــيخ الامام حجة الدين ابو هشام محمد ابن ظفر رضي الله عنه ان هذا الحديث لحسن الموقع في مـــا نحن فيه ولا ينبغي ان يقصر لفظه عن طلق افهامه وموجب عمومه والذي يوجبه عمومه انه امر لمن كان في نعمة دقيقـــة بان ينظر الى من هو في نعمة ادنى منها وامر لمن كان في بـــلاء شديد ان ينظر لمن هو في بلاء اشد من بلائه فانه دونه واسفل منـــه في حظ المعافاة المطلـــوبة وهذا المخفف عنه حظه اوفر واعلا فذو النعمـــة منعم عليه ومحسن اليه بما يفوق ما انعم به على غيره وذو البلاء منعم عليه بنقص بلائه عن بلاء غيـــره من المعـــافاة من الابتلاء بتلك الزيادة التي ابتلى بها غيره ۞ وانما كان هذا الخبر بليغـــا في باب التاسي لانه ينقل مستعظم البـــلاء الذي نزل به الى ان يستصغره باضافته الي ما ابتلي به غيره ويحضه على شكـــر ما فضل به من حظ العافية التي فضل بها على غيره وهذه درجة اعلى من درجة التاسي المطلق اذا التاسي لايفيد حضـــا على شكـــر ولايصور النقمـــة المخففة في صورة النعمة وانما يثمر الصبر خاصة وهذا يثمر الصبر ثم الشكـــر ۞

۞ اسجـــاع وابيـــات حكمية في التـــاسي ۞

التـــاسي مجنة البـــلا * وسنة النبـــلا * التاسي درجة الاصطبار *

كما ان الجزع درك التبار * وانه ينبغي لذي البصيرة ان يرى النعم في صورة العواري المرتجعة * والودايع المنتزعة * فمن لم يفعل ذلك اعظم فقدها * وجور عليه المنعم اذا استردها * كما ينبغي له ان لا يذهل عن حظوظ بني جنسه منها * ودولتهم فيها * فاذا زالت عنه وصارت اليهم * لم ينكر اخذ افضالهم وتغاضيهم حظوظهم * وليتاس بصبرهم عند حوزه لها دونهم * فيصبر لدولتهم الخالفة * كاصبروا الدولته السالفة * وكان صدقة المتصدقين * واقراض المقترضين * واضافة المضيفين * وما يلتحق بذلك من ضروب المواساة في المال وفي القوة وفي الجاه انما ندب اليه المواسون فيه ليستبقوا النعم باعطاء الجنس حظوظهم منها وفي هذه الجملة الحكمية لمن تدبرها قنعان * والله المستعان * وعليه التكلان ۞ انشدني بعض الملوك لنفسه في حال شدة نزلت به ۞

* نحن من قد علمت بطشا وحلما ،، ولنا المحتد الاغر الاعز *
* ولنا انفس عوارف بالدهر تاسى حين الاسى يستفز *

وحضرت عنده يوما من ايام شدته فانشدني لنفسه ايضا ۞

* قربني دهري فلم يلغني ،، اطمع في تابيد تقريبه *
* ثم نباعني فلم يلغني ،، اجزع من اصناف تعذيبه *
* فالحمد لله على حكمه ،، فقوتي منه وحولي به *

وقال لي يوما وقد حادثته فيما يبعثه على التاسي انشدني في ذلك شعرا انشدته ۞

* الا يا صخر لا انساك حتى ،، افارق عيشتي وازور رمسي *
* ولولا كثرة الباكين حولي ،، على اخوانهم لقتلت نفسي *
* وما يبكون مثل اخي ولاكن ،، اعزي النفس عنه بالتاسي *

فقال لي هذا اخلق من طيلسان ابن حرب اسمع ۞ وانشدني لنفسه ۞

* نغيض كما يغيض النيل جودا ،، ونقدم مثل اقدام الحسام *
* فان نزلت بنا كبر الرزايا ،، تاسينا باملاك كرام *
* روضة رائقة ،، ورباضة فائقة *

قيل لما عزم سابور بن هرمز على الدخول الى بلاد الروم

متنكرا متجسسا نهاه نصحاوه عن ذلك وحذروه التغرير بنفسه في امر يمكن ان يستنيب فيه غيره فعصاهم ۞ وكان يقال اشقى الناس وزراء الاحداث من الملوك وعشاق الفتيات من الشيوخ ۞ وكان يقال انما عسر صرف الاحداث عن غي الهوى الى رشد الراي لامرين ۞ احدهما قوة سلطان الشهوات عليهم ۞ والثاني ان التجارب لم ترض قواهم على مخالفة هواهم وذوو الحنكة بخلاف ذلك ۞ وكان يقال لاتستخفن بامرك ولا تستبدن بتدبيرك فان من استخف بتدبيره ذل ومن استبد برايه زل ۞ ثم ان سابور توجه نحو بلاد الروم واستصحب وزيرا كان له ولابيه من قبله وكان شيخا ذا دهاء وحزم وسداد راي وحنكة وبصر بالديانات واللغات وتبحر في العلوم وخبرة بالمكايد فسلم اليه سابور جميع ما يظن ان به اليه حاجة او تدعوه اليه داعية وامره ان ينحاز عنه في قرب منه ومراعاة لجميع احواله في نهاره وليله وتوجها معا نحو الشام وتزيا ذلك الوزير بزي الرهبان وتكلم بلسان الجلالقة واحترف بصناعة الطب والجراحة وكان معه الدهن الصيني الذي اذا دهنت منه الجراح برئت واندملت في الحال ۞ قال الشيخ الامام حجة الدين ابو هاشم محمد بن ظفر رضي الله عنه ۞ وقد رايت جماعة ذكروا انهم راوا هذا الدهن المذكور وحدثني بعضهم انه امتحنه بان شرح اللحم ودهنه فالتام مكانه فكان ذلك الوزير في مسيره نحو بلاد الروم وبعد ما دخلها يداوي الجراح بادوية يضيف اليها شيئا يسيرا من ذلك الدهن فتلتحم وتبرا جراحاتهم بسرعة فاذاعني بواحد من ذوي الاقدار داواه بذلك الدهن صرفا فيبرى مكانه ولا ياخذ على تلك المداواة اجرة فانتشر له في بلاد الروم ود وصيت بالعلم والزهد ۞ وكان يقال من غرس العلم اجتنى النباهة ومن غرس الزهد اجتنى العزة ومن غرس الاحسان اجتنى المحبة ومن غرس الحلم اجتنى الحكمة ومن غرس الوقار اجتنى المهابة ومن غرس المداراة اجتنى السلامة ومن غرس الكبر اجتنى المقت ومن غرس الحرص

اجتنى الذل ومن غرس الطمع اجتنى الخزي ومن غرس الحسد اجتنى الكمد ۞ وكان يقال الامم على اختلاف اديانها وازمانها وبلدانها متفقة على اخلاق اربعة العلم ۞ والزهد ۞ والاحسان ۞ والامانة ۞ قيل فانطلق سابور ووزيره منفردين الا ان الوزير يراعي احوال سابور اشد المراعاة فلم يزالا على ذلك حتى طافا جميع الشام وتجاوزا الدروب وقصدا القسطنطينية فقدماها فذهب الوزير الى البطرك وتفسير هذا الاسم ابو الاباء فاستاذن عليه فاذن له وساله عما يريد فاخبره انه هاجر اليه من ارض الجلالقة ليتشرف بخدمته ويدخل في اتباعه واهدى اليه هدية نفيسة حسن موقعها من البطرك فقربه واكرمه واحسن منزلته والحقه ببطانته واختبره فوجده لبيبا متعافافاعجب به غاية الاعجاب وجعل الوزير يتامل اخلاق البطرك ليصحبه بما يوافقه وينفق عنده ويحسن موقعه منه ۞ وكان يقال اذا اردت صحبة رئيس فانظر ماذا يستلبه وينفق عليه من الالات فان كنت مطيقا للعمل بها في طلب اقباله عليك وحظوتك عنده فاقدم عليه والا فرض نفسك على ذلك حتى تعلم انها قد اطاقته واحكمته فتقدم على بصيرة * قيل فلما تامل وزير سابور اخلاق البطرك وجده مائلا الى المفاكهات معجبا بنوادر الاخبار فاخذ الوزير في اتحافه من ذلك بكل نادرة غريبة وملحة عجيبة فلم تطل المدة في صحبته حتى حلي بعينه وقلبه وصار الصق به من شعرات جفنه وجعل مع ذلك يعالج الجرحى ولا ياخذ عن ذلك عوضا فعظم قدره في الناس وومقته القلوب * وكان يقال اذا كانت القلوب مجبولة على مقة المحسنين كانت المحبة رقا والاحرار يكرهون الاسترقاق فالحر على الحقيقة من فدى نفسه من رق المحسنين بمكافاتهم على احسانهم جهده حتى اذا لم يستطع فليرق نفسه معذورا وجعل الوزير يتعهد احوال سابور في كل وقت الى ان صنع قيصر وليمة وحشد اليها الناس على طبقاتهم وتهدد من يتخلف عنها فاراد سابور حضورها ليطلع على هيئة قيصر وهيئته في قصره وذخائره فنهاه وزيره عن التغرير بنفسه فعصاه

وتزيى بزى ظن انه يستتر به امره ودخل الى دار قيصر مع من
حضر الوليمة وكان قيصر لما بلغه ما ايد الله تعلى به سابور من
لطف الفطنة وعظم الهمة وشدة البأس في حال صباه حذره
حذرا شديدا فبعث الى حضرته بمصور ماهر فحكى صورة سابور
في مجلسه وحال ركوبه وغير ذلك من ضروب الاحوال التي
شاهده المصور عليها وقدم بتلك الصور الى قيصر فامر قيصر بان تصور
تلك الصور على فرشه وستوره وفي ءالات اكله وشربه فصنع
ذلك على ما امر به ورسمه ولما دخل سابور دار قيصر واستقر بها
في مجلسه وطعم مع من حضر ذلك المجلس ثم اتوا بالشراب في
كؤوس البلور والذهب والفضة والزجاج المحكم وكان في المجلس
رجل من حكماء الروم ودهاتهم ذو فراسة صادقة فلما وقعت عينه
على سابور انكره ثم جعل يتامل شخصه ونظرته واشارته فراى
عليه شمايل الرياسة فطفق يرمقه ولا يصرف عنه بصره فاتي
ذلك المتفرس بكاس فيه صورة سابور فتاملها فانطبعت في نفسه
مثالا لذلك الشخص الذي انكره وغلب على ظنه انه سابور وامسك
القدح في يده امساكا طويلا ثم قال رافعا صوته ان هذه الصورة
التي في هذا القدح لتخبرني خبرا عجيبا فقيل له ما الذي تخبرك
وقال تخبرني ان الذي هي مثاله معنا في مجلسنا هذا
ونظر الى سابور وقد تغير حين سمع مقالته فحقق ما ظنه
به واعاد القول فبلغ كلامه قيصر فادناه وساله فاخبره ان
سابور في مجلسه واشار اليه فامر قيصر بالقبض عليه فقبض على
سابور وقرب من قيصر فساله عن نفسه فتعلل بضروب من العلل
فقال ذلك المتفرس لاتقبلوا قوله فهو سابور لامحالة فامر قيصر
بقتله ليرعبه بذلك فاعترف بانه سابور * وكان يقال
قلوب الحكماء تستكشف الاسرار من لمحات الابصار وطال ما
دلت اوايل المبصرات على اواخر المنتظرات * وقيل كما ان
الابصار مرايا تنطبع فيها بعض المشاهدات اذا سلمت من صدا
الافات فكذا القلوب مرايا تنطبع فيها بعض الغائبات اذا
سلمت من صدا الشهوات * وقيل من الادلة على مكاشفة

الله تعالى القلوب ببعض الغيوب ان الانسان قد يتوقع الشيء يكرهه او يحبه ثم يكون ذلك الشيء الذي يتوقع على نحو ما يتوقع منه فقد يرى الانسان الانسان فيحبه من غير احسان فرط منه اليه او يبغضه من غير اساءة جناها عليه ثم يكون منه الاحسان او الاساءة * قيل فلما اعترف سابور بصدق ذلك المتفرس حبسه قيصر مكرما وامر فعملت له من جلود البقر صورة بقرة كاعظم ما يكون من البقر وطبقت عليه الجلود سبع طبقات واتخذ لها بابا في اعلاها في ظهر الصورة يدخل اليه شيء منه ويخرج وجعلت فيها كوة من اسفلها في موضع المبال وامر سابور فجمعت يداه الى عنقه بجامعة من الذهب ذات سلسلة يمكنه معها تناول ما يصلحه من طعام وغيره وادخل سابور في جوف تلك الصورة وهذا بعد ان حشد قيصر جنوده واستعد لغزو بلاد الفرس ووكل بتلك الصورة مائة رجل من ذوي الباس والقوة يحملونها دولا بينهم وجعل على كل خمسة منهم رئيسا يضبط امرهم وصرف امرهم الى المطران ومعنى هذا اللقب صاحب البلد الا انها رياسة دينية وهو خليفة البطريك فكانت تلك الصورة تحمل بين يدي المطران فاذا نزل العسكر انزلت الصورة التي فيها سابور في متوسط العسكر وضربت عليها قبة تسترها واطاف بها خمسون من الموكلين ورؤساؤهم معهم وضربت حولها عشر قباب مستديرة بها وكان في كل قبة خمسة ورئيسهم معهم وضربت للمطران قبة مجاورة قبة سابور وضربت خارج القباب كلها خيمة يصنع فيها طعام المتوكلين بقبة سابور على حسب اقدارهم ومراتبهم وصار قيصر محتفلا في جنوده وقد عزم على اخراب بلاد الفرس وتعفية معالم ملكهم لعلمه ان لادافع يدفعه عنهم * وكان يقال الحزم التزام مداجاة العدو ما دامت لدولته ريح اقبال كما ان العجز اضاعة الفرصة فيه اذا ادبرت دولته وركدت ريح اقباله * وكان يقال العاقل لايكون في ملك سلطان اجتمعت فيه خصلتان الانهماك في اللذات واضاعة الفرص * وكان يقال

تميز الملوك على السوقة انمـــا يكون بفضيلة الذات لابفضيلـــة الالات وفضيلة ذات الملك بخمس خصـــال رحمة تشمل رعيته ويقظة تحوطهم وصولة تذب عنهم ولبانة يكيد بهـــا الاعدا وحزامة ينتهز بها الفرص فهــذه فضيلة الذات وامـــا فضيلة الادوات فاتخاذ المبـــاني الوثيقة العلية والملابس الانيقة السريـــة والذخائر النفيســـة السنية والمراكب البهيـــة والمطاعم الشهيـــة فهـــذه فضيلة تفضل بها هذه الادوات على ما دونها من اجناسها فيكون للقصر فضل على غيره من القصور وللثوب فضل على غيره من الثيـــاب وللذخيرة فضل على غيرها من الذخائر وللطعـــام فضل على غيره من الطعـــام وللدابة فضـــل على غيرها من الدواب والفضيلة لهــذه الاشياء كلها لا لمالكهـــا ۞ قيـــل فلمـــا سار قيصر بجنوده ومعه سابور على الهيــئــة التي ذكرناهـــا قال وزير سابـــور للبطرك انما استفدت بخدمتك والقرب منك الرغبـــة في مصالح الاعمال وانه لا عمل افضل من تنفيس كربة عن مجهود وجر نفـــع الى مضطر وقد علمت كفايتي في معاناة الجرحى وان نفسي تنـــازعني الى صحبة الملك قيصـــر في سفـــره هذا فلعل الله تعلى ان يستنـــقذني نفســـا صالحة يترحم علي من اجلهـــا او يتقدس قلبي بخدمتها ويحفظني بها فانكر البطرك ذلك منـــه وقال له قد علمت اني لااستطيـــع فراقك ساعـــة واحدة فكيف تطالبـــني بالسفر البعيد عني ما ظننت انك تلقـــاني بما اكره وتسومـــني ما يشق علي احتماله كما لاظنك توثـــر شيـــئا من الاشيـــاء على القرب مني والتحبب الي فقد ازلتني عن حسن ظني بك فـــلم يزل الوزيـــر يتضرع الى البطرك ويتملق الى ان سمح له بـــذلك فاذن له وزوده وكتب معه كتابا الى المطـــران يخبره فيـــه انه قد بعث اليكم بسويداء قلبه وسواد بصره فليحله من نفسه باعلا المراتب وليستضي برايه في مـــا اشكل عليـــه فقدم وزير سابور على المطران فعرف له حقه وانزلـــه معه في قبته وجعل زمام امره ونهيه في يده وجعل الوزيـــر يتنفق على المطران بما يعجبه ويستميله بما يميـــل اليه ويطرفه كل ليلة باخبـــار ممتعـــة

رافعا بها صوته ليستمع سابور حديثه فيتسلى بذلك ويدس في حديثه ما يجب ان يعلمه سابور من الاخبار ويفطن له من الاسرار فكان سابور يجد لذلك اعظم راحة وكان الوزير قد اعتد لتخليص سابور انواعا من المكايد رتبها واسسها عند ما قدم على المطران ۞ وكان يقال ان من ظن من الملوك ان لفطنته فضيلة على فطنة وزيره فقد غلط وان اضاف الي هذا الغلط مخالفة الوزير لم يفلح وانما كانت فطنة الوزير اثقب من فطن الملوك لان الملوك ابدا يتفقهون في سياسة من دونهم من الرعايا لاغير والوزراء يتفقهون في سياسة الملوك وسياسة الرعايا فهم اشبه شيء بالجوارح التي تصيد وتفترس ويصيدها ايضا جوارح اشد منها فهي اعرف الجوارح بمكايد الاحتراس ومكايد الاكتساب ۞ وكان يقال احسن الوزراء حالا من اعد لكل امر يجوز وقوعه ويمكن كونه عدة فاذا وقع الامر قابله بما كان اعد له واسوا الوزراء حالا من توكل على اطف فطنته وقوة حيلته ودربة ممارسته فترك الاعتداد للامور قبل نزولها ثقة بنفسه وانما هو في ذلك بمنزلة من ترك تزوير القول واعداده وترويته توكلا على فصاحة لسانه وقوة بديهته وحسن ارتجاله فيوشك ان يستولي عليه العي والحصر في بعض مقاماته وبمنزلة من ترك حمل السلاح توكلا على قوة بدنه وشجاعته فيوشك ان يظفر به عدوه في بعض المواضع ۞ قيل فكان من المكايد التي اعدها وزير سابور انه امتنع من مواكلة المطران وزعم انه لايريد ان يخلط بالطعام الذي زوده البطرك طعاما غيره لما يرجوه من بركته وبركة الاغتذاء به فكان اذا حضر طعام المطران اخرج هو من ذلك الزاد فانفرد بالاكل منه فلم يزل قيصر يسير بجنوده حتى بلغ ارض فارس فاكثر فيها القتل والسبي وتغوير المياه وقطع الشجر واخرب القرى والحصون وهو مع ذلك يبادر السعي ليستولى على دار ملك سابور ويباغت من بها من روساء الفرس قبل ان يملكوا عليهم رجلا ولم يكن للفرس هم الا الفرار بين يديه والاعتصام منه

بالمعاقل فلم يزل قيصر على ذلك حتى بلغ مدينة سابور وقرار ملكه وهي المسماة جندى سابور فاحاط بها جنوده ونصب عليها المجانيق ولم يكن عند من بها من عظماء الفرس حيلة في دفعه باكثر من ضبط الاسوار والقتال عليها وكل هذا قد علمه سابور على التفصيل بما يفهمه اياه وزيره ويدسه في حديثه من الاشارات والرموز والكنايات وكان سابور لم يسمع منه كلمة منذ سجنه قيصر في تلك الصورة فلما عرف سابور ان قيصر قد ثقلت وطأته على اهل جندي سابور وقد ثلم الاسوار بالمجانيق واشرف على افتتاح المدينة عيل صبره وساء ظنه بوزيره وايس من النجاة مما هو فيه فلما جاء الموكل بطعامه قال له ان هذه الجامعة قد نالت مني منالا ضعفت عن احتماله فان كنتم تريدون بقاء نفسي فنفسوا عني منها واجعلوا بينها وبين عنقي ويدي خرقا من الحرير فجاء الموكل بطعامه الى المطران فاعلمه بمقالة سابور وسمعها وزيره فعلم انه قد جزع وساء ظنه وفطن لما قصده سابور فلما جن عليه الليل وجلس لمسامرة المطران قال له لقد تذكرت الليلة حديثا عجيبا ما ذكرته منذ كذا وكذا سنة ووددت اني لو كنت حدثته للبطرك قبل سفري هذا عنه فقال له المطران اني ارغب اليك ان تحدثني به الليلة ايها الحكيم الراهب فقال الوزير نعم وكرامة ثم اندفع بحدثه رافعا صوته ليسمع سابور حديثه فقال انه كان عندنا بجليقية فتى وفتاة في نهاية الحسن والظرف اسم الفتى ما معناه عين اهله واسم الفتاة ما معناه سيدة النار وكانا زوجين موتلفين متحابين لايبغي احدهما بالاخر بدلا وان عين اهله جلس يوما مع اصحاب له يتحادثون فتذاكروا النساء الى ان وصف احدهم امراة بالجمال البارع والظرف الرايع اسمها ما معناه سيدة الذهب فوقع بقلب عين اهله ميل اليها فسال الواصف لها عن منزلها فذكر له انها بقرية غير قرية عين اهله ففكر عين اهله في امره وخامره حبها وطمحت نفسه اليها طموحا شديدا ۞ وكان يقال العقل كالبعل والنفس كالزوجة له والجسم

كالبيت لها فاذا كان سلطان العقل على النفس مبسوطا اشتغلت النفس بمصالح الجسم كاشتغال المراة التي قهرها بعلها بمصالح نفسها وبيتها وولدها وبعلها فصلحت الجملة واذا كان السلطان للنفس على العقل كان سعي النفس فاسدا ونزعاتها مذمومة كفعل المراة التي قهرت زوجها ۞ قيل فانطلق عين اهله الى القرية التي تسكن بها سيدة الذهب وطلب منزلها حتى عرفها ولم يزل يتردد اليها حتى رءاها فراى منظرا معجبا ولم يكن احسن من امراته ولاكنه ۞ كان يقال من ضرورة النفس ان تحن الى التنقل في الاحوال اذ كانت نقلت بالتركيب الى عالم الكون ثم تنتقل بالتفريق الى عالم الفساد ۞ ومافتتح امره بالنقلة واختتم بها فاليف الاحوال بتوسطه النقلة ۞ ونازعت نفس عين اهله الى الاستكثار من روية سيدة الذهب فلزم المعاودة الى منزلها والتمتع بتاملها حتى فطن له بعلها وكان جليقيا غليظ الطبع قاسي القلب شديد البطش يسمى الذئب فرصد عين اهله حتى مر بها فلما رءاه وثب عليه فقتل فرسه ومزق ثيابه وتعتعه وعنف عليه واستعان باصحاب له فاحتملوا عليه وادخلوه الى دار الذئب وربطوه الى سارية في بيت من بيوتها ووكل به الذئب عجوزا قطعاء اليد عوراء العين جدعاء الانف شوهاء الخلقة فلما جن عليه الليل اوقدت تلك العجوز نارا بالقرب من عين اهله وجلست تصطلي فتذكر عين اهله ما كان فيه من الرفاهية والسلامة والعز فزفر زفرة عالية فاقبلت عليه العجوز وقالت له ايها الفتى ما ذنبك الذي اوردك مورد الذلة والشدة فقال عين اهله ما علمت لي ذنبا ۞ فقالت العجوز هكذا قال الفرس للخنزير فلم يصدقه الخنزير ثم باحثه عن امره فظهر على ما خفي عنه وعلم صدق ظن الخنزير ۞ فقال عين اهله للعجوز ان رايت ان تحدثيني بذلك وكيف كان فانك تحسنين الي به ۞ فقالت العجوز ذكر ان فرسا كان لرجل من الشجعان وكان يكرمه ويجمه ويحسن القيام عليه ويعده لمهماته ولم يصبر عنه ساعة وكان يخرج به الى مرج

فيزيل عنه سرجه ولجامه ويطيل رسنه فيتمرغ ويرعى حتى ترتفع الشمس فيرده وانه خرج به يوما الى المرج ونزل عنه فلما استقر قدمه على الارض نفر الفرس وجمح ومر يعدو بسرجه ولجامه فطلبه الفارس يومه كله فاعجزه وغاب عن عينه الى غروب الشمس فرجع الفارس الى اهله وقد يئس من الفرس ۞ ولما انقطع الطلب عن الفرس واظلم عليه الليل جاع فرام ان يرعى فمنعه اللجام ورام ان يتمرغ فمنعه السرج ورام ان يستقر على احد جنبيه فمنعه من ذلك الركاب فبات بشر ليلة الى الصباح فلما اصبح ذهب يبغي فرجا مما هو فيه فاعترضه نهر فدخله ليقطعه الى ضفته الاخرى فاذا هو بعيد القعر فسبح فيه وكان حزامه ولببه من جلد لم يبالغ في دبغه فلما خرج من النهر اصابت الشمس الحزام واللبب فيبسا واشتدا عليه فورم لبابه ومحزمه واشتد الضرر عليه الى ما به من الجوع فلبث بذلك اياما الى ان ضعف عن المشي فقام فمر به خنزير فهم بقتله ثم عطفه عليه ما راى به من الضعف فساله عن حاله فاخبره بما هو فيه من اضرار اللجام واللبب والحزام وساله ان يصطنع عنده معروفا ويخلصه مما ابتلي به فساله الخنزير عن الذنب الذي استحق به تلك العقوبة فزعم الفرس ان لاذنب له فقال له الخنزير كلا بل انت كاذب في زعمك وجاهل بجرمك فان كنت يافرس كاذبا فما ينبغي لي ان انفس عنك خناقا ولا اصطنع عندك معروفا ولا ان اتخذك وليا ولا التمس عندك شكرا واطلب فيك اجرا ۞ وانه كان يقال اذا رايت نفس الكذاب قد تشبثت بها عالم الفساد فكلها اليه فانه اليق بها لفساد تركيبها ۞ والدليل على فساد نفس الكذاب انها مضطربة معرضة عن الحقيقة في الحوادث ونزاعه الى العدم المحض فتتصور العدم وجودا والباطل حقا وتصور ذلك في نفس المغتر بها الراكن الى قولها ۞ وكان يقال احذر مقاربة ذوي الطباع المرذولة لئلا تسرق طباعك من طباعهم وانت لا تشعر ۞ وكان يقال اصعب ما يعانيه الانسان ممارسة صاحب لاتتحصل منه حقيقة ۞ وكان يقال لاتطمع في

استصلاح الرذل والحصول على مصافاته فان طباعه اصدق له منك فلن يترك طباعه لك ۞ ثم قال الخنزير وان كنت يافرس جاهلا بجرمك الذي استوجبت به هذه العقوبة فجهلك بذنبك اعظم منه فمن جهل ذنوبه اصر عليها ولم يرج فلاحه ۞ وكان يقال ما شيء اشبه بالكذب من الجهل وذلك لان الكذاب يتناسى الصورة والقضية المحسوستين ويتخيل الكذب الذي هو ضدها حتى ينطبع ذلك في عقله ويترك الصواب عمدا الى غيره والجاهل يرى الاشياء على خلاف ما هي عليه فيرى القبيح حسنا والحسن قبيحا ۞ وانما الفرق بين الجاهل والكاذب ان الكاذب ياتي ما يعلم خطاه فيه والجاهل لايعلم ذلك فهو على نفسه وعلى غيره اشد جناية من الكاذب فقال الفرس للخنزير ينبغي لك ان لاتزهد في اصطناع المعروف فقال الخنزير اني لست بزاهد في ذلك ولاكنه ۞ كان يقال العاقل يتخير لمعروفه كما يتخير الباذر لحبوبه التي يبذر فيها زكى من الارض فحدثني يافرس عن ابتداء امرك فيما نزل بك وعن حالك قبل ذلك لاعلم من اين دهيت فحدثه الفرس بجميع امره وكيف كان عند فارسه وكيف فارقه وما لقي في طريقه الى حين اجتماعه بالخنزير فقال له الخنزير قد ظهر لي الان انك جاهل بجرمك وان لك ذنوبا ستة ۞ احدها خذلانك لفارسك الذي احسن اليك واعدك للمهمات ۞ والثاني اضرارك به في طلبك ۞ والثالث تعديك على ما ليس لك وهو السرج واللجام ۞ والرابع اساءتك الى نفسك بتعاطيك التوحش الذى لست له اهلا ولا لك عليه مقدرة ۞ والخامس اصرارك على ذنبك وتماديك على غوايتك فقد كنت متمكنا من العود الى فارسك والاستقالة من فارط جهلك قبل ان يوهنك اللجام بالجوع واللبب والحزام بالضبط ۞ فقال الفرس للخنزير اما اذ عرفتني ذنوبي وايقظتني الى ما كنت ذاهلا عنه عجبا بخصال الجهل فانطلق الان ودعني فاني مستحق لاضعاف ما انا فيه ۞ فقال له الخنزير اما اذ عرفت وفطنت لهذا القدر ولمت نفسك ووبختها واخترت لنفسك العقوبة على جهلها

فانک حقیق ان ينفس عنک ۞ وانه قيل ان الاديب لوقا كتب على باب بيته انه لن ينتفع بحكمتنا الا من عرف نفسه ووقف بها عند قدرها فمن كان بهذه الصفة فليدخل والا فليرجع حتى يكون بهذه الصفة ۞ ثم ان الخنزير قطع عذار اللجام فسقط وقطع الحزام فتنفس عن الفرس ۞ قال فلما سمع عين اهله ما خاطبته به العجوز وفهم ما ضربته له من الامثال اقبل على العجوز وقال لها قد صدقت فيما نطقت وضربت لي مثلا كشف لي عن جلية امري وافدتني حكما لاكفاء لها وادبتني فتادبت ووعظتني فاتعظت ثم حدثها حديثه ورغب اليها في ان تمن عليه بالاصطناع وتطلقه كما فعل الخنزير بالفرس ۞ فقالت له العجوز انک غر لابصيرة لک باكثر الامور وان الذي سالتني لايمكنني فعله الان ولعل ان اجد لك فرجا ومخرجا مما انت فيه فعليک بالصبر وسكتت العجوز عن مخاطبته ۞ قال فلما انتهى الوزير في حديثه الى هذه الغاية اقبل على المطران وقال له اني احس في راسي صداعا وفي اعضاءي فتورا ولا يمكنني الليلة اتمام الحديث ولعلي ان اكون في الليلة القابلة نشيطا الى ذلک قديرا عليه فاكمل مسامرتک باكماله ونهض الى مضجعه فجعل سابور يتصفح حديث وزيره ويتامل الامثال التي وصفه بها ففهم ان الوزير كنى عنه بعين اهله لانه ملک فارس وكنى عن مملكته واقليم بابل بسيدة النار وكنى عن بلاد الروم بسيدة الذهب وكنى عن طموح نفس سابور الى رومة بسيدة الذهب وكنى عن اخذ قيصر له بقبض الذئب على عين اهله وقصد بما ضرب له من الامثال الحكمية تاديبه على شرهه وتغريره بنفسه ومخالفته نصحاءه وكنى عن نفسه وحاله وعجزه وحزنه وذله في خدمة المطران وطلبه مرضاته وتملقه بالعجوز القطعاء الجدعاء العوراء المشوهة الخلق وعرفه انه لايمكنه تخليصه في ذلک الوقت وانه ساع في خلاصه ۞ فسكنت نفس سابور لما فهم ذلک وعاودته ثقته بوزيره واستروح ريح الفرج ولبث بذلک ليلته وغدها الى الليلة القابلة فلما تعشى المطران واخذ

مقعد المسامرة قال لوزير سابور ايها الراهب الحكيم اخبرني ما
كان من خبر عين اهله وكيف كان عاقبة امره وهل خلصته
العجوز من وثاق الذئب امر لا فان نفسي الى علم ذلك متطلعة
واراك الليلة صالح الحال ۞ فقال الوزير سمعا لقولك وطاعة
لامرك ثم اقبل عليه يحدثه ۞ فقال ان عين اهله اقام على حالته
موثقا طول ليلته تلك فلما اصبح دخل الذئب فتهدده بالقتل
وزاده الى وثاقه قيدا ثقيلا وخرج عنه فقطع عين اهله نهاره ذلك
بالاماني فلما اجنه الليل قلق واستوحش فبكى وانتحب وجاءت
العجوز فاضرمت نارا قريبا منه وجلست تصطلي ثم اقبلت
على عين اهله فقالت تعز واصبر واذكر مصائب الناس فتاس
بهم ولا تذهل عن النعمة العظمى في حفظ نفسك ۞ فقال
لها عين اهله لقد صدق القايل هان على الطليق ما لقي
الاسير ۞ فقالت العجوز ايها الفتى ان حداثة السن قصرت
بك عن ادراك كثير من الحقايق اقتسمع حديثا لك فيه سلوة
فقال نعم فانعمي علي به فقالت العجوز ۞ ذكر ان تاجرا
مكثرا كان له ابن صغير وكان شديد المحبة له والشغف به فاتحفه
بعض معارفه بغزال شرخ صغير فعلق به قلب الغلام ولد التاجر
وكان لايفارقه وجعل اهل الغلام على ذلك الغزال حليا نفيسا وارتبطوا
له شاة حتى اذا اشتد الغزال وتبدن نجم قرناه فقال الغلام
لاهله ما هذا في راس الغزال قالوا قرناه فاعجبه سوادها وبريقها
فقيل للغلام انهما سيكبران ويطولان حتى يكون صفتهما كيت
وكيت فقال الغلام لابيه احب ان ارى ضبيا له قرنان كبيران
فامر ابوه فصيد له ضبي ثني السن قد استكمل قوة ونموا
فاعجب به الغلام واكرمه اهله وحلوه وانسوه فانس والف الغزال
الضبي للمجانسة الطبيعية فقال للضبي ما ظننت قبل ان اراك
ان لي في الارض شكلا ثم انني لما رايتك وقع في نفسي ان لي
اشكالا سواك فقال له الضبي ان اشكالك كثيرة فقال له الغزال
اين هي فاخبره الضبي بتوحشها وانفرادها في فلوات الارض فرارا
من الناس وحدثه عن مراتعها ومواردها وازدواجها وتناسلها

فارتاح الغزال لما سمع من الضبي وتمنى ان يراها فيكون معها فقال له الضبي هذه امنية لاخير لك فيها وانت قد نشات في رفاهية من العيش وامنة لاتعرف غيرها ولو حصلت في ما تمنيت لندمت ۞ وانه كان يقال ثلاثة من لم ينزلها بمنزلتها ويرعى لها حقها اسرعت مفارقته والتحول عن قربه وهي الملوك والعلماء والنعم ۞ وكان يقال الاماني في الشدة ارتياح وفي الرخاء جماح فلا ينبغي للعاقل ان ياذن لنفسه في الاماني الا في المقدار الذي يونس الوحشة وينسي الكربة فان استيلاء الاماني على النفوس كتامر السفل الذين يعتدون الرءوس اعجازا والاعجاز رءوسا ويسعون في قلب الاعيان وتغيير صورة الصواب ۞ فقال الغزال للضبي لابد لي من اللحاق باشكالي فلما راى الضبي ان الغزال غير منته وخاف عليه ان يقطع به قبل ما تمناه لانه غر لايعرف التحرز من مكايد الانس لم يجد بدا من اتباعه والكون معه ليقضي حق حرمة الالفة فرصد حينا يمكنه فيه الفرار وخرجا جميعا حتى لحقا بالصحراء فلما عاينها الغزال فرح ومرح وذهب يعدو لايثنيه شيء فسقط في اخدود ضيق قد قطعه المسيل فنشب فيه فانتظر ان ياتيه الضبي ليخلصه فلم ياته فبقي هنالك ۞ واما ولد التاجر فانه لما اصبح عدم الغزال والضبي فجزع لفقدهما واشفق عليه ابوه فاستدعى كل من يعاني الصيد بذلك البلد فعرفهم القصة وكلفهم طلب الضبي والغزال ووعد من وجدها وعدا مرغوبا فيه فانبثوا في سهل الارض وحزنها وركب التاجر دابته وفرق اتباعه على باب المدينة ينتظرون من يجيء من الصيادين وانطلق هو وعبدان من عبيده حتى اتوا الصحراء فراى على بعد رجلا مكبا على شيء بين يديه فاسرع نحوه فاذا هو صياد قد اوثق ضبيا وهو يريد ذبحه فتامله التاجر فاذا هو ذلك الضبي الذي يطلبه فخلصه من يد الصياد وامر عبديه ففتشاه فوجدا معه الحلي الذي كان على الضبي فساله كيف ظفر بالضبي واين وجده فقال بت بالصحراء اتصيد فنصبت شركا وكنت قريبا منه فلما اصبحت جاء هذا الضبي ومعه غزال فضل الغزال

يعدو ويمرح في جهة الشرك وجاء هذا الضبي فمشى حتى حصل في الشرك فاخذته وقصدت به المدينة فلما بلغت هذا الموضع ظهر لي اني مخطي في ادخال الضبي المدينة حيا لعلمي انه اذ اوتي طلبت بما كان عليه من الزينة فرايت ان اذبحه وادخل به لحما فهذا خبري فقال له التاجر لقد جنى عليك شحك الخيبة والحرمان فما عليك لو اطلقته فذهب وحصلت انت على حليه وزينته ولقد صدق القائل لايدخل الشره مدخلا الا اعتقبته المحرمة ولا يدخل البخل مدخلا الا اعتقبته الحسرة الا ترى ان من حمله البخل والشره على اكل اللقمة التي عافتها نفسه كان متعرضا للحرمة بتهوع ما اكله والحسرة عليه عند مفارقته ۞ ثم ان التاجر بعث بالضبي الى ولده مع احد عبديه وقال لذلك الصياد ارجع معي فارني الجهة التي رايت الغزال يسعى نحوها فرجع به الى تلك الجهة وجعل الصياد يفتش ويتشرف الى المواضع المرتفعة ومشى التاجر على رسله فسمع نزيز الغزال وصوته فصاح به التاجر فلما سمع الغزال صوته عرفه فصوت واتبع التاجر الصوت حتى وقع عليه فاذا هو في اخدود اي شق في الارض متنشبا فيه فاخذه ونادى الصياد فوهب له دارهم وصرفه ورجع التاجر بالغزال الى ولده فكملت مسرة الغزال وجعل الغزال يتجنب الضبي اذا رءاه ولا يالفه كما كان واذا حصل معه في موضع نفر منه اشد النفار فتنغصت مسرة الغلام لذلك وجهد اهله بكل حيلة ان يجمعوا بين الغزال والضبي على حال الالفة وسكون فلم يقدروا على ذلك فبينما الغزال نائما اذ دخل عليه الضبي يعاتبه على نفاره منه وطول هجرته له فقال له الغزال انسيت غدرك احوج ما كنت الى عونك واوثق ما كنت بنصرتك فقال له الضبي اني لم اغدر ولم اخن ولاكن عدم رسوخك في علم التجربة اوقعك في تهمة البري واني لم اتاخر عنك الا لما حصلت فيه مضطرا الى التاخر عنك عاجزا عن المبادرة اليك وقص عليه قصته وانه حصل في شرك الصياد فعلم الغزال عذره وعادا الى تالفهما ۞ قال فلما سمع عين اهله حديث العجوز فهم ما ارادته من ذكر عجزها

عن تخليصه امسك عن خطابها ۞ قيل فلما انتهى وزير سابور من حديثه الى هذا الحد سكت فقال له المطران ايها الحكيم الراهب ما هذا السكوت لعلك تريد ان توخر اخباري بما كان من عاقبة عين اهله وما لقي من الذئب وما صنعت معه العجوز ۞ فقال الوزير اني لعازم على ذلك لفتور اجده في اعضاءي ۞ فقال له المطران لا تفعل فان ذلك يسوءني ويشق علي احتماله فاحمل لي على نفسك الليلة ايها الحكيم فاني راغب في تانيسك معجب باحاديثك ۞ فقال الوزير افعل ذلك طلبا لمرضاتك ولو علمت ايها المطران ما ذخرت لك من عجائب الاخبار وغرايب الاسمار لعجبت من ذلك اشد العجب ۞ ثم اندفع بحدثه ۞ قيل ان عين اهله لما سمع حديث العجوز وفهم ما ارادته امسك عنها وابت ليلته تلك باسوا حال ولما اصبح دخل عليه الذئب فنال منه وتعتعه وعنفه وتهدده بالقتل وزاده قيدا الى قيده وعرفه ان لا ناصر له عليه ولا مخلص له من يديه وخرج عنه فجعل يعلل نفسه بقية نهاره ويمنيها الفرج فلما اقبل عليه الليل استوحش واحتوشته الافكار المرمضة وانتظر ان تجلس اليه العجوز او تحادثه فلم تفعل وجعلت العجوز تكثر الدخول الى البيت الذي فيه عين اهله ولا تستقر فيه فساء ظن عين اهله وايقن بالهلكة وما شك في ان الذئب يقتله تلك الليلة فاقبل على البكاء حتى ذهب صدر من الليل ثم قال للعجوز مالك لا تونسينني الليلة بحديثك ولا جلست الي فجلست اليه وقالت له اما كان لك في رويتي قطعاء جدعاء مشوهة عوراء سيئة الحال ما يحملك على التاسي والتسلي فاحمد الله سبحانه واشكره على سلامة نفسك ومعافاتك من بلاء هو اعظم من بلائك حتى قلت هان على الطليق ما لقي الاسير ولو اعتبرت باطن حالي بما ظهر لك منها لعلمت ان اسري اشد من اسرك فاستمع الي احدثك حديثي ۞ اعلم ايها الفتى اني كنت زوجة لبعض الفرسان وكان لي محسنا وبي رفيقا ولي محبا وكنت معه في ارغد عيش واهناه فلبثت بذلك مدة طويلة وولدت له اولادا كثيرة ذكورا واناثا فكبروا في رفاهية ونعمة فغضب الملك على زوجي لامر كان منه

فقتله وقتل ذكور اولادي وباعني انـا وبناتي مفترقات فاشتراني
هذا الفارس الذي عدا علي واحتملني الى هذه القرية واسـاء الـي
وكلفني من العمل مالا طاقة لي به واكثر معاقبتي على غير ذنب لما
طبع عليه من القسوة والغظاظة والغلظة فسالته مرارا ان يرفق بي
واستعنت عليه باخوانه ومن يكرم عليه لكي يخفف علي او
يبيعني فلم يزده السوال والشفاعات الا قسوة علي واضرارا بي فلبثت
بذلك سبع سنين ثم فررت منه فتبعني فادركني فجدع انفي ثـم
تمادي في قسوته علي واضراره بي وعاودت مسئلته والاستشفاع اليه وهو
مقيم على سوء رايه في فمكثت بذلك سبع سنين اخرى ففررت منه
فظفر بي فقطع يدي وقال لي انما بقي لك من اعضائك التي اتنفع
بها عينـاك ويدك ورجلاك فان فررت بعد هذا قطعت رجـليك
معا وابقيتك انتفع بعينـك في الحراسة ويدك في العمل واقسـم
على ذلك بغليظ الايمان وعاود حسبي ومضرتي وقد عزمت على ان
اخلصك الليلة واقتل نفسي بيدي طلبا للراحة مما انا فيه ولهـذا
رايتني اكثر الدخول اليك والخروج عنك وانما ذلك بحيرتي وجزعي
من الموت وقد طابت نفسي على الموت ۞ ثـم انها فتحت قيود
عين اهله وقطعت وثاقه وتناولت سكينا فقال لها عين اهله لئن
تركتك تقتلين نفسك فيها شركتك وانتزع السكين من يدها
وقال لها اذهبي معي لكي ننجوا معا فقالت ان كبر سني وضعف
بدني ليمنعاني من اتبـاعك والهرب معك فقـال الليل متسع والموضع
الذي نامن اذا وصلنا اليه قريب وبي قوة على حملك ۞ فقالت
العجوز اما اذا عزمت على هذا فاني لاحوجك الى حملي ما دامت
بي مسكة وخرجا معا فلم ينقض الليل حـتى بلغا الى حيث امنـا
فجزاها عين اهله خيرا بما صنعت واتخذها اما يسمع لها ويطيـع
۞ فهـذا ما بلغني من ذلك ۞ فقـال المطران ما اعجب احاديثك
يها الحكيم ولقد وددت ان لاافارقك ابدا وان سفري هذا يطول
لتطول متعتي بك ويعظم حظي بك وبانسك ولقد استعـذبت
مفارقة الاهل والوطن لقربك ونهض كل واحد منهما الى مضجعه
وبات سابور يتصـغ حديث وزيره ويتامل امثـاله ففهم ان

الغزال مثل سابور وان الضبي مثل الوزير وان خروج الضبي مع الغزال الى الصحراء مثل لصحبة سابور وزيره حتى حصل في حبس قيصر وان نفار الغزال عن الضبي مثل لسوء ظن سابور بوزيره لتاخره عن استنقاذه وعرف ان الوزير قد عزم على تخليصه والخروج به الى المدينة ليلا وان المدينة قريبة منها وانه يحمله ان عجز عن المشي فايقن سابور بقرب الفرج ۞ فلما كانت الليلة القابلة تلطف وزير سابور حتى دخل الخيمة التي يطبخ فيها الطعام للطران والموكلين بحفظ سابور على حال خلوة فالقى في جميع الاطعمة مرقدا قوي الفعل ۞ فلما حضر طعام المطران انفرد الوزير باكل زاده على ما جرت به عادته فلم يكن الا ساعة حتى استحوذ المرقد على جميعهم فانجدلوا صرعى على مراصدهم ومضاجعهم وبادر الوزير بفتح باب الصورة عن سابور واستخرجه وازال الجامعة من عنقه ويديه وتلطف حتى اخرجه من عسكر قيصر وقصد به جند سابور وهي مدينة ملكه فانتهيا معا الى سورها فصرخ بهما الموكلون بحراسة السور فتقدم الوزير اليهم بخفض اصواتهم وعرفهم بنفسه واعلمهم بسلامة ملكهم فابتدروا وادخلوهما المدينة فقويت نفوس اهلها وامرهم سابور بالاجتماع وفرق فيهم السلاح وعهد اليهم ان ياخذوا اهبتهم فاذا ضربت الروم نواقيسهم الضرب الاول خرجوا من المدينة وتفرقوا في عسكر الروم واقاموا على تعبية وتاهب حتى اذا ضربت الروم النواقيس الضرب الثاني حملوا باجمعهم كل فرقة على من يليها فامتثلوا امره وانتخب سابور كتيبة عظيمة فيها اشجع اساورته وقام معهم في ما يلي الجهة التي فيها اخبية قيصر فلما ضربت النواقيس حملوا من كل جهة وقصد سابور اخبية قيصر ولم تكن الروم متاهبين لعلمهم بضعف الفرس عن مقاومتهم وانهم قد بذوا باب مدينتهم فما شعروا حتى دهمهم الفرس واخذ سابور قيصر اسيرا وغنم جميع عسكره واحتوى على خزائنه ولم ينج من جنوده الا الشريد وعاد سابور الى قرار ملكه فقسم الغنايم بين اهل عسكره واناض الصلوت على جميع من في مدينته فقدر احوالهم

واحسن الى حفظة مملكته وشرفهم وفوض جميع اموره الى وزيره الذي خلصه ۞ ثم احضر قيصر فاكرمه ولاطفه وقال له اني مبق عليك كما ابقيت علي وغير مجازيك بتضييق مجلسي ولاكني اخذك باصلاح جميع ما افسدت في جميع مملكتي فتبني ما هدمته وتغرس مكان كل نخلة تطنها زيتونة وتطلق كل من في مملكتك من اسارى الفرس فضمن له قيصر ذلك ۞ وما انتهى في الاصلاح الى بناء ما انثلم من سور مدينة جندي سابور ۞ قال سابور لقيصر انما تبنيه من تراب بلادك فامر قيصر رعيته من الروم بحمل التراب من بلادهم الى جندي سابور ورجع ما انثلم من سورها ۞ فلما اتم لسابور ما اراد من ذلك كله احسن اليه واطلقه الي دار مملكته بعد ان قال له خذ اهبتك واستعد عدتك فاني غاز ارضك عن قريب ۞ قال الشيخ الامام حجة الدين ابو هاشم محمد بن ظفر رضي الله عنه قد بلغت بهذه السلوانة الغاية التي يحملها هذا الكتاب والحمد لله على ما يسر من ذلك دائما ۞

۞ السلوانة الثالثة ۞

وهي سلوانه الصبر وهو ثمرة التاسي ۞ قال ربنا تقدس اسمه مخاطبا صفيه المكين لديه ونبيه العزيز عليه واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ۞ وهذا لما تالب المبطلون عليه ۞ وقصدوا بالمكر والمكروه اليه ۞ وكما اخبر الله سبحانه بقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ۞ وكان روساء قريش اجتمعوا في دار الندوة ليتشاوروا في امر النبي صلى الله عليه وسلم واتاهم ابليس في صورة شيخ اعرابي فارادوا اخراجه عنهم فقال لهم اني من اهل نجد ولا عين عليكم مني وقد بلغني ما اجتمعتم له ولعلكم لاتعدمون من محضري خيرا فاخذوا في تشاورهم فقال عتبة ارى ان تخرجوه من بين اظهركم فان ظفر كان ظفره حظا لكم وان قتل كفيتم امره دمه فقال ابليس لعنه الله ما هذا براي اما سمعتم حلاوة منطقه واخذه بالقلوب فلا تامنوا ان يقع

في حي من احيـاء العرب فيستفسد اهواءهم ويسير به اليكم حتى تفرق جماعتكم فقال ءاخر منهم ارى ان يوثق ويجلس حتى يـاتيه أجله وهو في حبسه فقـال ابليس لعنه الله ليس هذا برأي اما علمتم ان له اهل بيت واتباعـا لايرضون منكم بهذا فيقع الحرب بينكم ويهن امركم ثم قد تكون الدائرة عليكم فقـال ابو جهل لعنه الله ارى ان ناخذ من كل قبيلة من قبايل قريش شابـا جلدا ونعطي كل واحد منهم سيفا وياتونه في مضجعه فيضربونه ضربة رجل واحد فلا يقدر اهله ان يطلبـوا بدمه جميع القبـايل اذا افترق دمه فيهـا فقال ابليس لعنه الله لقد اصاب الراي فتفرقـوا على راي ابـو جهل لعنه الله ۞ فاوحى الله سبحانه الى رسوله صلى الله عليه وسلم يعرفه مكرهم ويامره بالهجرة الى طيبة وجـاء الذين تخيروهم من القبايل للفتك برسول الله صلي الله عليه وسلم الى منزله من اول الليل فامر النـبي صلى الله عليه وسلم عليـا كرم الله وجهه ان يلبس برده الاخضر وينـام على فراشه واعلمه أنه لايصله من قريش مكروه فالتحف علي كرم الله وجهه ببردة النبي صلى الله عليه وسلم ونـام على فراشه وخرج النـبي صلى الله عليه وسـلم من بيته والقوم على البـاب فقرا اوايل سورة يـس واخذ كفا من التراب وجعل يذره على روس القـوم وهم لايرونه وانصرف صلى الله عليه وسلم متوجهـا نحو الغار وجعل المشركون ينظرون الى علي كرم الله وجهه في مضجع النبي صلى عليه وسلم وعليه برده الاخضر فيقولون هذا محمد ولا يطيقون الدخول عليه حتى اصبح ودخل علي رضي الله عنه فنظروا اليه فاتوه وقالوا ايـن محمد قال لاادري امرتموه بالخروج فخـرج فحبسوه في المجلس ثم تركوه رضي الله عنـه ۞

* خـبر نبـوي في الصـبر *

ممـا رويناه ان النـبي صلى الله عليه وسلم قـال العلم خليل المومن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قائده والرفق والـده والصبر امير جنوده فنـاهيك بخصلة تتـامن على هذا الخصـال

وليس المراد بفضل الصبر على العقل والعلم ما ذكر ولاكن المراد ان بالصبر يكون الثبات على هذه الخصال لمن اتصف بها لان معنى الصبر الثبات والحبس والامساك فمن اتصف بشيء من هذه الخصال ولم عليه والملازمة له كان عند الناس مزايلته كمن لم يتصف به فالصبر لهذه الخصايص الشريفة ضابطا ضبط الامير جنوده عن مزايلة مراكزها والاخلال بما تصيب له من دفاع وامتناع ۞

* منثور ومنظوم من الحكم في الصبر *

روي ان عليا كرم الله وجهه قال الصبر مطية لاتكبو ۞ وقيل ان مما كتب في الصحيفة الظغرا المعلقة في اعظم هياكل الفرس كما ان الحديد يعشق المغناطيس فكذلك الظغر يعشق الصبر ۞ فاصبر تظغر ۞ اعلم رحمك الله ان ظل الصبر ظليل ومضله ذليل وان الصبر درج يفضي بمن عرج الى الفرج وان اقل فوائد الصبر على البلية ان الصابر عليها تنغص له لذة عدوه المتشفي الشامت به ۞ والصبر صبران صبر العامة وهو صبر اشباح ۞ وصبر الخاصة وهو صبر ارواح ۞ ۞ وقد احكم هذا المعنى حبيب بن اوس الطاي ۞

* لباس برد الصبر مدرع له ،، في الحادثات كلبس درع اللام *
* والصبر بالارواح يعرف فضله ،، صبر الملوك وليس بالاجسام *

قوله اللام اي الدروع والدرع لامة وجمعها لام

۞ وقال حبيب ايضا فاحسن ۞

واذا رايت اسى امري او صبره ۞ يوما فقد ابصرت صورة راية

،، * وقال نهشل ابن جري * ،،

* ويوم كان المصطلين بحره ،، وان لم تكن نارا قيام على الجمر *
* صبرنا له حتى يبوح وانما ،، تفرج ايام الكريهة بالصبر *

قوله يبوخ اي تخبو وقلت في ذلك ۞

* على قدر فضل المرء تاتي خطوبه ،، ويعرف عند الصبر في مايصيبه *
* ومن قل في ما يتقيه اصطباره ،، فقد قل في مايرتجيه نصيبه *

۞ وقال بعضهم ۞

* الصبر اولى بوقار الفتي ٭ من قلق يهتك ستر الوقار *
* من لزم الصبر على حاله ٭ كان على ايامه بالخيار *

وقال عمر ذو الكلب

* ومقعد كربة قد كنت منه ٭ مكان الاصبعين من القبال *
* صبرت لها وكنت اخا حفاظ ٭ اذا حام اللئام على النزال *
* فهذي والمنية من وراءي ٭ ستظفرني بها احدى الليالي

قال الشيخ الامام حجة الدين ابو هاشم محمد بن ظفر رضي الله عنه هذا انموذج من القول في الصبر على الجملة وهو يتنوع انواعا * النوع اللايق بكتابنا هذا منها هو صبر الملوك وصبر الملوك عبارة عن ملازمة قوى ثلاث * القوة الاولى قوة الحلم * وثمرتها العفو * والقوة الثانية قوة الكلاءة والحفظ * وثمرتها * عمارة المملكة * والقوة الثالثة قوة الشجاعة * وثمرتها في الملوك الثبات * واما ثمرتها في حماة المملكة من المقاتلة فالاقدام في المعارك ولا يراد من الملك الاقدام في المكافحة فان ذلك من الملك تهور وطيش وتغرير وانما شجاعة الملك ثباته حتى يكون نصبا للمحاربين ومعقلا للمنهزمين وهذا ما دام بحضرته من يثق بذبه عنه ودفاعه دونه وحمايته له * فلقد ذكر الفرس ان فيلا اغتلم اي هاج شبقا فدخل قصر كسرى انو شروان والفيل اذا اغتلم انكر سواسه ولم يثبت له شيء الا اتى عليه قالوا وان ذلك الفيل قصد مجلسا كان فيه كسرى ومعه جماعة من كفاة اصحابه فلما راى الذين مع كسرى ان الفيل قد قصدهم فروا من المجلس وثبت كسرى على سريره وثبت معه رجل من اساورته وكان مكينا عنده يثق بثباته فقام ذلك الاسوار بين يدي سرير كسرى بطبرين وقصد له الفيل فثبت له حتى غشيه فضربه بالطبرين على فنطسته فكر الفيل راجعا من حيث جاء وقد نالت الضربة منه منالا شديدا وكسرى لم يتخلخل عن مجلسه ولا تغيرت هيئته ولا فارقته ابهته فهذه غاية الشجاعة المطلوبة من الملك فاذا لم يكن بحضرة الملك من يثق بدفعه عنه حسن حينئذ منه ان

يذب عن نفسه اما بالاقدام عليهم او بانهزامه ان اتاه ما لا قبل له به واشفق من عطب رعيته بمهلكة * كما حكي ان موسى الهادي كان يوما في بستان ومعه اهل بيته وبطانته وهو راكب على حمار وليس معه سلاح فدخل عليه حاجبه فاخبره ان رجلا من الخوارج جيء به اسيرا وكان الهادي حريصا على الظفر به فامر بادخاله فادخل بين رجلين قد امسكا بيديه فلما راى الخارجي الهادي جذب يديه من الرجلين اللذين كانا يمسكانه واخترط سيف احدهما ووثب نحو الهادي فلما راى ذلك من كان حول الهادي من اهله وخاصته فروا جميعا وبقي الهادي وحده فثبت على حماره بمكانه حتى اذا قرب الخارجي منه وكاد ان يعلوه بالسيف قال اضرب ياغلام عنقه فالتفت الخارجي حين سمع ذلك ووثب الهادي عن سرجه فاذا هو على الخارجي والخارجي تحته فقبض الهادي على يديه وانتزع السيف منه فذبحه به ثم عاد الى ظهر حماره من فوره وتراجع اليه خاصته واهله يتسللون وقد ملئوا منه رعبا وحياء فما خاطبهم في ذلك بحرف واحد ولم يكن بعد ذلك يفارقه سلاحه ولا يركب الا الخيل ۞ وقد جلي عليك بهذا الخبر ما ايد الله به موسى الهادي من ثبات الجاش واصابة الراي وشدة الكبد وشجاعة القلب وقوة البدن رحمه الله بمنه وكرمه ۞

،، روضة رائقة ،، ورياضة فائقة ،،

قيل وصف لكسرى انو شروان ارض من التخوم الهندية تتاخم اقليم بابل فذكرت له بحسن المنظر وطيب الهوى والماء وكثرة الاثاوة وزكاة الثمار وكثرة العمارة وحصانة المعاقل ووصف له اهل تلك الارض بعظم الجسوم وبلادة الفهوم وشجاعة القلوب وقوة الابدان والصبر على العمارة والملازمة للطاعة ولين المقادة فشرهت نفس كسرى الى ملك تلك الارض والتكثر باهلها ۞ وكان يقال الشره اعرق الخصال في اللوم فالحرص ابوه الذي يولده والبغي ابنه الذي يلده والطمع شقيقه والذل رفيقه ۞ وكان يقال من شره وقع فيما كره ۞ وكان يقال

الشره شرة ينتجها طبع ويهيجها طمع ۞ قيل فلما طمحت نفس انوشروان الى تملك تلك الارض سال عن ملكها فاخبر انه عظيم من اراكنة الهند وانه شاب منقاد لشهوته مقبل على لذاته الا انه سالك صراطا من العدل لايجور ومالك منهلا من البذل لايغور الى رافة برعيته قد اشربت قلوبهم وده وصرفت ءامالهم الى ما عنده فندب له كسرى رجلا من ثقات اصحابه ممن اقتبس ادبا من ءاداب الملوك وتفقه في سياستهم وكان ذا دهاء وفكر وحزامة ومكر وامره بتامل مسالك تلك الارض والبحث عن ثغورها ومعاقلها وتطلب عورتها وتفقد اخلاق ملكها واهلها وكتب معه كتابا الى ذلك الاركن يدعوه الى الدخول في طاعته ويحذره التعرض لسطوته بمخالفته فانطلق ذلك الرسول حتى قدم على الاركن فاحسن نزله وبالغ في بره وتكرمته وعمى عليه الاخبار وبالغ في قبضه عن التصرف وفي قبض الناس عن لقائه واحتجب عنه ولم يستدع الكتاب منه وندب لاختباره وعلم ما قصد له رجلا من دهاة اصحابه وامره بالتجسس على سبب اتيانه والتلطف في مخالطته ومداخلته فانطلق ذلك الجاسوس فاكترى حانوتا بازاء دار الرسول وملاه فخارا وجلس فيه لبيع ذلك الفخار وكان للرسول غلام يخف في حوايجه ويتصرف في مئاربه وجعل الجاسوس اذا راى ذلك الغلام هش له واكرمه وساله عما له من حاجة الى ان انس به الغلام فكان يجلس اليه ويستعين به على امره فلبث بذلك مدة لايسئله عن شيء من امر سيده فلما تاكد انس الغلام به قال له يوما من تكون ومن يكون ذلك الذي في هذه الدار التي تدخلها فقال له الغلام صحبتني منذ كذا وكذا ولا تعرفني فقال الجاسوس وما علمي فقال له الغلام انا غلام رسول كسرى وسيدي في هذه الدار فقال الجاسوس ومن كسرى ومن رسوله فقال الغلام كسرى ملك بابل ارسل سيدي الى ملك ارضكم فقال الجاسوس قد عرفت حين ذكرت لي بابل لاني كنت في صباي اجيرا لرجل من اهل بابل ثم امسك عن الغلام اياما لايسئله عن

شيء ۞ وكان يقال التنقير تنغير ۞ وكان يقال التنقيب يريب الاديب ۞ وكان يقال من تسارع الى المشاركة في السر فلا لوم على من اتهمه بالاذاعة ۞ ومن تنصح قبل ان يستنصح فلا لوم على من اتهمه بالخداع ۞ ومن عني بكشف ما يستر عنه فلا لوم على من اتهمه بخبث الطباع ۞ قيل ثم ان الجاسوس قال للغلام يوما اذا خرج مولاك فارني اياه فقال الغلام ان مولاي لايتصرف فقال الجاسوس امريض هو فقال الغلام لا ولاكن ملككم حظر عليه الخروج وعلى الناس الدخول اليه فبكى الجاسوس فقال الغلام له ما الذي ابكاك فقال الجاسوس ابكتني الرحمة لمولاك مما هو فيه لانني ابتليت بمثله وذلك اني حبست مدة في دين علي ومنعت امراتي من الدخول الي فلولا ان الله سبحانه من علي برجل كان محبوسا معي فكان يسليني بحديثه وانسه لهلكت غما فهل تحدث مولاك وتسليه فقال الغلام اني لااعرف هذا ولا ادري خبرا اطربه به فقال الجاسوس له افلا ادلك على ذلك فقال الغلام بلى احسن الي بذلك فقال له الجاسوس اذا خرجت من عند مولاك فطف في المدينة وتامل ما تراه فيها فاذا رايت جماعة يتحدثون فاجلس اليهم واسمع ما يفيضون فيه فاذا رجعت الى سيدك وخلوت معه فقل له رايت اليوم كذا وكذا وسمعت من يقول كيتا وكيتا فان في هذه تسلية له وانسا من وحشته ويوشك اذا فعلت ذلك ان تحظى به عنده ففعل الغلام ما امره به الجاسوس ۞ فقال له سيده من دلك على فعل هذا فقال الغلام انا فطنت له ففعلته فقال له سيده كلا ليس هذا في قوى عقلك فاخبرني من دلك عليه قال الغلام دلني عليه جار لنا يبيع الفخار ما رايت ابله منه ولا اجهل فقال له سيده ما الذي دلك على جهله وبلهه قال الغلام انه قد صحبني اكثر من شهر وهو لايعرف من انا ولا من سيدي وذكرت له الملك كسرى فاذا هو لايعرفه فلما سمع الرسول ذلك استراب به واحس انه متجسس عليه لما راى انه قد افرط في تجاهله ۞ وكان يقال من افرط فهو كمن فرط ومن احتفل في غلوه

استغفل من علوه * وكان يقال ما دل على الاحوال كالاقوال ولا هتك قناع المعقول كسماع القول ۞ وكان يقال من لم تعرفك غائبا اذناه لم تعرفك شاهدا عيناه ۞ فلما سمع الرسول مقالة عبده امره ان ياتيه به ففعل ولما رءاه الرسول حقق ماظنه به من كونه جاسوسا عليه فاكرمه وقربه وتظاهر بغباوة وجهل لامزيد عليهما وساله ان يواصل زيارته فلبث الجاسوس متفقدا حال الرسول في ليله ونهاره مدة متراخية ولما ظن ذلك الجاسوس انه قد حصل ما اراد علمه من امر رسول كسرى ذهب الى الملك فاخبره ان ذلك الرسول قدم لاذكاء له ولا غناء عنده اكثر من انه ذو نجدة وفروسية فوثق الملك بقوله وتخيل الرسول بالصفة التي مثله بها الجاسوس عنده ۞ وكان يقال لايكن سمعك لاول مخبر ولا ثقتك لاول مجلس ۞ وكان يقال اذا كان الخبر يدخله الصدق والكذب فالقضاء له باحدهما قبل الامتحان جور ۞ وكان يقال انما يقضي بصدق الخبر عصمة المخبر لاصدقه ۞ وشرح ذلك ان المخبر الصادق اذا لم يكن معصوما كان عرضة للتلبيس * وفرصة للتدليس * وكون المخبر ثقة صدوقا انما يفيد سلامته من التحريف في ما نقله ولا يفيد عصمة ادراكه فقد ينظر الصادق المغفل الى الشمس فيخبر انها غير سائرة وينظر الى القمر ودونه مقطعات السحاب فيخبر بانه ادرك سرعة سيره ومن ينظر من سفينة جارية الى البر فيظن ان البحر يجري وينظر الى افعال الشعوذي فيخبر عن الاشياء بخلاف ما هي عليه ويسمع كلام الببغا المحجوبة عن بصره فيخبر عن انسان فلم يدخل الخلل من جهة تحريفه لاكن من جهة ادراكه ۞ قيل فلما وثق الاركن بجاسوسه احضر رسول كسرى فاكرمه بكل حسن واخذ منه الكتاب وخلع عليه واجزل صلته ورده الى منزله مكرما مبرورا واباح له التصرف واذن لمن اراد قصده في زيارته وتابع اتحافه ولبث بذلك عاما ۞ ثم استحضره وسلم اليه جواب الكتاب واعطاه هدية الى كسرى ۞ يقال انها كانت سيفا طوله خمسة اشبار ولونه كلون النحاس الاحمر يعمل

في الحديد كما يعمل غيره من السيوف في الرصاص وصحفة من الياقوت الازرق تسع مدا من الطعام وكاسا من الزمرد البحري يسع رطلا من الشراب والف درة فريدة وقنديلا من المهافية ياقوتة حمراء كبيضة الحمام اذا علق في بيت فيه مصباح ليلا التقى شعاع الياقوتة على الالوان القابلة للحمرة فلا يشك في حمرتها وطيبا كثيرا ودروعا ودرقا وغير ذلك وخص الرسول بحباء وذخائر نفيسة وصرفه الى مرسله ۞ فلما قدم الرسول الى كسرى ساله عما ندبه اليه ليعرفه فاخبره بطيب تلك الارض وفضائل خصائلها وشرف مزاياها وحصانة ثغورها وانه لم يجد عورة تؤتى منها الا غرارة سكانها فان عقولهم متهيئة لقبول الخدع محجوبة عن النظر في العواقب وان هذا موجب حسن طاعتهم لمن الفوا طاعته فلو ندب الملك اليهم رجالا يحسنون نصب الدعوات الى الدول لاستمالوهم وصرفوا طاعتهم عن ملكهم فاذا انصرفت طاعتهم لم تقم لملكهم بعد ذلك قائمة لانهم اعضاءه الذين يصول بهم فهم في الرخاء ثمار مجتناة وفي البلاء سيوف منتضاة فنظر كسرى فيما كتب اليه به الاركن فوجده قد خاطبه بالملاطفة واعترف بفضله وتملقه ورغب اليه في الموادعة والمواخاة فاستشار انو شروان وزراءه في امره واعلمهم ان نفسه لاتطيب بمسالمته فاختلفوا عليه ثم اجتمع رايهم على ان ترد هديته اليه ففعل ثم انه ندب لاستفساد رعيته رجالا يحسنون نصب الدعوات وقلب الدول وامدهم بالاموال وازاح عللهم وبين لهم مثالا يحذون عليه فنفذوا لما امرهم به حتى اتوا الى مملكة ذلك الاركن فتفرقوا فيها واعمل كل واحد منهم قوته فيما انتدب له فلما اتى عليهم عامان احكموا امر ذلك في دار مملكة الاركن وفي غيرها من مدنه وحصونه ورساتيقه وكتبوا بذلك الى كسرى فحرك لهم المرزبان المتولى ربع المملكة المقابل لتلك الجهة الهندية وذلك ان اقليم بابل كان مصروفا الى اربعة مرازبة لكل مرزبان منهم خمسون الف مقاتل فلما شرع ذلك المرزبان في الحشد والاعداد كتب عيون الاركن

بتلك الجهة اليه يخبرونه بان المرزبان المجاور لهذه الجهة من بلاده
قد اخذ في حشد الاجناد وتاهب للاستعداد فعلم الاركن انه
قاصده ونجم النفاق ببلده وتحدث الناس بقصد المرزبان اليه
فاكثروا الاراجيف فانتبه الاركن من غفلته وبحث عن
الامر فوقف على حقيقته وكان امر مملكته يدور على خمسة رجال
اربعة منهم هم وزراءه والخامس هو صاحب بيوت النار ورئيس
الزمازمة والذين ياخذون عنه دينهم فجمعهم الاركن وعرفهم
ما بلغه من فساد قلوب رعيته وحشد المرزبان اليه واظهر لهم
الحاجة الى كفايته فجلسوا يتناظرون في ابتغاء صواب الراي
فقال احد الوزراء الاربعة الراي ان يستصلح الملك رعيته فيملا
ايديها رغبات وقلوبها امالا حتى يستقيم معوجها ويانس
نافرها فان عدونا اذا علم بذلك جبن عن الاقدام علينا وان
اقدم لقيناه بكلمة مجتمعة وايد متناصرة فقال رئيس الزمازمة
انما يصلح هذا من الرعية لو كان فسادها انما اوجبه عظم
جور اوعسف سيرة فيزال عنها سبب فسادها فتصلح وليس
رعية الملك بهذه الصفة وانما ورد عليها الفساد من جهلها بمواقع
الصواب وبطرها لترادف النعم ۞ وكان يقال اربعة اذا
افسدهم البطر لم تزدهم التكرمة الا فسادا الولد والزوجة
والخادم والرعية وضربوا لذلك مثلا القوى الاربعة المرذولة اذا
هاجت لتعدي حدودها المصلحة وهي الغضب اذا تعدى حد
الشجاعة وحد الانفة من الرذائل والشهوة اذا تعدت حد
العقل من اكتساب الفضائل والحرص اذا تعدى حد الكفاية
والكلل اذ تعدى حد راحة الجسم من كد اكتساب المصالح فان
هذه القوى الاربع اذا تعدت هذه الحدود لم تزدها المداراة
والرفق الا هيجانا وطغيانا وانما تعانى بحسم موادها فقال
الملك صدق الحكيم ثم قال وزير ثان من الوزراء الاربعة
الراي عندي ان تضرب من صلح من الرعية بمن فسد منها حتى
تستقيم وتستوثق انا ثم نلقى عدونا بمن لانخاف دغله ولا
نحذر غشه لانا مضطرون الى الحرب لان عدونا لايرضيه الا اخذ

ما بايدينا جملة فقال رئيس الزمازمة هذا انفع لعدونا من جيشه وادعى الى طاعته من دعاته مع انه اذا علم بحربنا في ما بيننا وتناصبنا ذهبت هيبتنا من نفسه وبلغ فينا امله ۞ وقد قالت الحكماء اربعة من استقبلهم بالعنف والردع في اربعة احوال هلك بها الملك في حال غضبه والسيل في حال صدمته وهجومه والفيل في حال غلمته والعامة في حال هيجها ومرجها وقالوا ان اشبه شيء بردع العامة عند تحدرها وهيجها معاناة الجدري في حال انبعاثه الى سطح الجسد بالاطلية الرادعة فقال الملك صدق الحكيم ثم قال وزير ثالث الراي عندي تطلب تعيين من فسدت طاعته من الرعية فنميزه ممن سواه ثم نرى راينا فيه بما يقتضيه حاله من قلة او كثرة وضعة او نباهة وضعف او قوة فنقابله بما يوجبه حاله من التدبير فقال رئيس الزمازمة البحث عن هذا الان خطر عظيم لانه يوحش المريب فيحركه على اللحاق بعدونا واعتماده بالنصائح ودلالته على عورتنا واذا التحق بعدونا بذل جهده في العود الى وطنه واهله وماله على بصيرة ليست لعدو ناوعدونا لايقابلنا على مثل ذلك ولربما يغضل علينا المريب بل يقاومنا بموضعه ويكاشفناويتكثر علينا بشكله من الرعية فينصره وان لم يكن على مثل رايه لعلة المشاكلة له كما ان الكلبين لايمنعهما تعاديهما وتهارشهما من التعاون على الذئب اذا ابصراه ولا يلتفتان الى تحقق الذئب في الخلق الكلبي ولاكنهما ينافرانه ويصطلحان في التعاون عليه نظرا الى خصيصتي توحشه وانفته وجرءته وكذلك العامي لاينظر الى الملك من حيث تحققه في الخلق الا نساني بل ينظر الى الملك من حيث تفرده وانفته وعلو همته فينافره لذلك ويالف العامي الذي يشاكله في الاخلاق بعلة المشاكلة ۞ وقد قالت الحكماء ثلاثة ان كاشفتهم بالامتحان في ثلاثة احوال خسرتهم مودبك في حال استقلالك وامراتك في حال اكتهالك وصديقك في حال اختلالك والرعية كالزوجة وادبار الدولة كالاكتهال وقالوا مثل ذلك مثل امتحان قوى بعض الناقهين من الامراض بالاطعمة

الغليظة فقال الوزير الرابع وكان اوسعهم علما وفضلا واقضلهم رايا اما انا فاحدث الملك حديثا اخبرني به مودبي وكان من اخر ما افادنيه وقال احرز هذا الحديث في حبة قلبك ولا تتمن ان تعيش الى اليوم الذي تحتاج فيه اليه واني لاحسبه هذا اليوم فقال له الملك قل نسمع لحديثك فقال رءيس الرمازمة ما اولاه بالاصابة فقال الوزراء الثلاثة انه لكذلك فقال الوزير الرابع انا نحن كاصابع الراحة في افتقار بعضها الى بعض وقوة بعضنا ببعض وتزين بعضنا ببعض ثم انا انما نستمد من نور عقل الملك السعيد بنظرنا اليه كما تستمد الدراري من نور الشمس فكلنا الي الملك محتاج وبه معتضد فقال الملك قل ايها الوزير الصالح بالقبول والكرامة لك ولمن نبت عنه فانتم في نصيحتنا والغناء عنا والاداء الينا كالحواس الخمس الي القلب فسجدوا له اجمعون ثم قال ذلك الوزير الرابع زعم مودبي ان رجلا موسرا من التجار كان ياوي من داره الى بيت مبطن السقف وفيما بين ذلك السقف وبطانته فيران كثير فكن وادعات فيما اشتهين من الامنة وتيسير الطعمة بمرحن النهار كله على حال طمانينة فاذا جاء الليل نزلن من السقف فتفرقن في مخازن التاجر ومساكن عياله فاكلن واحتملن فكثر اذاهن على التاجر وانه دخل يوما مسكنه ذلك فاستلقي فيه مفكرا في بعض اموره وجعلت الفيران تمرح على بطانة السقف والتراب يسقط من خلل الالواح فضجر التاجر ونهض مبادرا فامر بتحويل ما في البيت من الاثاث ثم امر عبيده فوضعوا بطانة السقف وانتشر الفيران في البيت فقتلن شر قتلة ولم ينج منهن الا جرذ وفارة كانا غائبين عن السقف فلما رجعا وابصرا فساد وطنهما ومصارع الفيران في جميع الدار راعهما ذلك واقبل الجرذ على الفارة فقال لها صدق القايل من صحب الدنيا واثقا بها كان كالنايم في الظل الذي يكون قبل بلوغ الشمس الى نصف دائرة فلكها الاعلى فينتقلص الظل عنه بتصويب الشمس فيوقظه حرها ولا يجد للظل عينا

ولا اثرا فقالت الفارة صدقت فماذا ترى قال الجرذ ارى ان لا اسكن بموضع ينال منه هذا المنال واحذر من الانس جهدي فان هيجهم شديد وختلهم امضى من قوة غيرهم من العوالم فقالت الفارة انا معك فانطلقا حتى اتيا ارضا بارزة جرداء ذات اخلاط من الوحوش تكتنف واديا معشبا فيه غدران ماء ذات ضفادع وسلاحف فاعجبهما ذلك وسارا في الوادي يلتمسان موضعا يحتفران فيه جحرا فانتهيا الى ربوة عالية في وسط ذلك الوادي قد انجاب عنها سيل الماء فيه يمينا وشمالا فاحتفرا في اصل تلك الربوة جحرا رضياه لانفسهما واوطناه وانهما علوا يوما من الايام تلك الرابية فرايا في اعلاها يربوعا قد علت سنه على باب جحر له فرحب بهما وحدثهما وسالهما عن امرهما فاخبراه الى ان ذكرا له انهما اوطنا جحرا في اصل تلك الرابية فقال لهما اليربوع لولا ان التنصح كثيرا ما يدعو الى التهمة لنصحت لكما فقالا له ما احوجنا الى نصحك فقال انه كان يقال اربع لاتقدم عليها حتى تسئل عنها الخبير بها السوق لاتقدم عليه حتى تسئل عن النافق والكاسد فيه والمراة لاتقدم على خطبتها حتى تسئل عن منصبها وخلقها والطريق لاتسلكها حتى تسئل عن امنها وخوفها والبلدة لاتوطنها حتى تسئل عن مرافقها وسيرة اخلاق اهلها وقوة من يكيد اهلها ويعاديهم ۞ وكان يقال انظر الى المتنصح فان اتاك بما يضر غيرك ولا ينفعك فاعلم انه شرير وان اتاك بما ينفعك ويضر غيرك فاعلم انه طامع وان اتاك بما ينفعك ولا يضر غيرك فاصغ له وعول عليه ۞ وكان يقال ان لم تعن ناصحك على نفسك كان ناصحك كمن يروم تقويم ظل عود معوج قد نصب قبل ان يقيم العود في منصبه ۞ وكان يقال اذا اردت ان تعلم ما يغلب على الانسان من قوى الخير والشر فاستشره يدلك رايه عليه اصح دلالة ۞ وكان يقال اذا احتجت الى المشاورة في امر فشاور ذوي الحنكة والتجربة من طبقتك وذوي صناعتك ولا تعدل عنهم الى غيرهم ممن ليس من طبقتك فيخرجك عن حدك لكونه خارجا من عالم خصائصك ۞ وكان يقال

شر ما في عالم الاخلاق التعاطي لان التعاطي يزيد المتعلق به شرا ويعرضه في مواسم الخزي وهذا كالضعيف يتعاطى القوة وكالجاهل يتعاطى الحلم وكالفقير يتعاطى الغنا واقول لكما اني قد جمعتني واياكما مناسبة صناعية وهي حفر الجحرة الا اني في علمها ارسخ منكما فانتقلا عن جحركما فانه بئس الجحر ومن شر الاوطان وانا ابن نجدة هذه الارض والخبير بها ۞ وقد قيل قتل ارضا خابرها فتحولا عن ذلك الجحر واطلبا ماوى سواه فخرجا من عند اليربوع يهزءان ويسخران منه وينسبانه الى الهرم والخرف ورجعا الى جحرهما فلبثا فيه مدة طويلة وولدا فيه اولادا ۞ ثم ان الجرذ خرج يوما من الايام فاوغل في تلك الارض لبعض شانه ثم عاد قاصدا نحو الربوة فاذا السيل قد جرى في ذلك الوادي واحدق بالربوة وارتفع حتى عادت الربوة في مثل البحر العجاج فوقف على ضفة الوادي ينظر متحسرا لفساد وطنه وهلاك الفه وولده وذهاب ما اعد من طعمه فراى اليربوع قائما على الربوة ءامنا فناداه اليربوع ايها الجرذ كيف وجدت ثمرة اضاعة الحزم ومعصية الخبير النصيح فقال الجرذ وجدتها مرة فقال اليربوع للجرذ هون عليك وخفض من حسراتك فان النعمة في بقاء نفسك تربي على المصيبة باهلك وولدك فانس النعمة بالشكر تالفك فتستمتع بها ۞ وانه كان يقال اظهر البشاشة لثلاثة للصديق والغريم والنعمة ۞ وكان يقال الحر لاتذهله اساءة من كان احسن اليه عن شكر احسانه السالف عنده ۞ وكان يقال اذا احسن اليك محسن ثم تنكر لك بمساءة فلا تنقبضن عنه ودم على شكرك له وبرك به فان ذلك اوجه شفيع لك عنده ۞ فقال الجرذ لليربوع ما كان اشقاني ايها الحكيم بمعصيتك والبعد عنك ولحق قيل ينبغي للعاقل ان يصحب العلماء المهذبين بالحكمة والاداب ولو كنت ذا بصيرة لعلمت انك ايها الحكيم لم تكلف نفسك صعود هذه الربوة الكاود وهبوطها على ضعف بدنك وكبر سنك الا لامر اقتضته الحكمة واوجبه الراي المصيب ثم ان الجرذ امهل حتى ذهب

السبيل ثم صعد الى الربوة واتخذ جحرا الى جانب جحر ذلك اليربوع
فاوطنه ءامنا قرير العين ۞ فهـذا ما اخبرني به مودبي فقـال
الملك صدقت ايها الحكيم الوزير الصالح قائلا * وسددت ناصحا *
واصبت مشيرا * وتلطفت مبلغا * ودعوت سميعا * فالتمس لنا ربوة
ترضاها لاستقرارنا نلزم انفسنا الصبر على صعودها ونقصر فيهـا
عن مالوف ملاذها وانبساطها في هذا العالم الخبيث اليهـا
فلعلنا ان نجتنى السلامة التي اجتناها اليربوع ۞ فقـال الوزيـر
ايها الملك السعيد المفدى بالنفوس الرقيبة عشت ما بدا لك ان تعيش
ونلت ما املت فما اعجب قبولك لما نهديه اليك من نعمـك
ونجلوه عليك من ملحك وحكمك واني لاعرف في ناحية من ممالكـك
معقلا تطل منه على اهل الارض اطـلال زحل على الكـواكب
تغال دونك الابصـار اللاحقة والافـكار الطامحة وهو مـع ذلك
ذو هواء عليل وماء مسيل وحدائق باسقة ومرافق متناسقـة
۞ وقـد كان بعض سلف الملك السعيد عني به بعض العنايـة
فقطع عليه امله القدر الحتم القاطع عقود الحياة ۞ فـلمـا
سمع الملك مـا دله عليه وزيره ملئ سرورا وركب من فوره في
خاصته وثقاته حتى انتهى الى ذلك المعقل الذي دلـه عليه وزيره
فوجده في راي عينه افضل ممـا صوره الوزير في نفسه ووجـد
به رسوما وثيقة وءاثارا اثرها بعض من تقدم من ءابائه فحشـد
اليه المهندسين والبنائين والعمـال وامرهم بالجد في الالة وبـادر
من فوره فنقل اليه خاص بيوت امواله وخزائن سلاحه ونفائـس
ذخائره وحشد رعيته لحمل الارز اليه فاودعوه من الارز المقشور وغيره
ما ظن ان فيه كفاية وذلك ان الارز الذي لم يقشر طويـل
البقاء واعد لنزوله عدته وهو مع ذلك يسد الثغور ويجند الاجنـاد
ويشيد الحصون فلمـا مضت ثلاثة اشهر من يوم كتب اليـه
جواسيسه بحركة المرزبان وحشده اقتحم المرزبـان ثغوره في
الجيوش المتوافرة والعدة الكاملة وظهر دعاة كسرى على تلك الناحية
فيمن استفسدوه من الرعية فغلبوا على ما يليهـم من البـلاد
واستعمل المرزبان عليها عمالا من ثقات اصحابه ورتب فيهـا حمـاة

من جنده ومن اهلها ثم دنى يطوي الارض فوافته جيوش الاركن فدافعهم بعض الدفاع ثم انهزم من كان في قلبه دغل فانهزم الناصحون بانهزامهم واستولى المرزبان على عسكرهم واستبقى النفوس واخذ الاموال ثم تجاوزهم يطوي المملكة طي السجل وكان الاركن عند ما اقتحم المرزبان ثغوره قد بعث باهله وحشمه الى ذلك المعقل وجمع وجوه قاطني حضرته فوعظهم وذكرهم ما سلف من احسانه اليهم وذكر ما بلغه من فساد الطاعة وماكرهه من امتحانهم ومعاقبة المسيئين منهم فتنصلوا مما قذفوا به عنده وحلفوا على استقامة طاعتهم وصدق مناصحتهم فقال الملك اني لم اجمعكم لهذا ولست بناكل عن عدوي ولا بمستبعد النصر والظفر عليه ولا بمعين تهمة احد منكم غير انه اخبرني بعض وزراءي عن ملك من سلفي انه شرع في بناء معقل وعني به بعض العناية فحال بينه وبين اتمام ما اراد الاجل المحتوم على عالم التركيب فحملني على تكملة ما شرع فيه جدي قول الحكيم ان ابر الملوك من تم به سعي سلفه واعقهم من انقطع سعيهم عنده ثم اني احببت ان اجعل ذلك الحصن من عددي وذخائري لقول الحكيم ان احزم الرعاة من اعد لجميع قضايا العقل احكاما وقوله يجب على الملك ان لايخلو من خمسة معاقل يتحصن بها ⊛ احدها وزير يتحصن برايه ⊛ والثاني سيف قاطع يتحصن بحده اذا خشي عدوا ⊛ والثالث فرس سابق يتحصن بظهره اذا لم يمكنه الثبات ⊛ والرابع امراة حسناء يحصن بها فرجه وبصره ⊛ والخامس قلعة منيعة يتحصن بحلولها اذا احتيط به ⊛ فاتخذت هذا المعقل لتكمل به حصوني ونقلت اليه ذخائري وما يكرم علي فمن راى منكم ان يقتدي بي في فعلي ءاخذ بالحزم فليفعل ⊛ فلما فرغ من مخاطبتهم اذن لهم فخرجوا عنه واقتدى به منهم من كان ذا عقل وخبرة فجهزوا الى ذلك المعقل اهليهم واموالهم واقواتهم * واما المرزبان فانه سار في تلك المملكة يطويها طي السجل لايقاومه جيش الا هزمه حتى اشرف على حضرة الاركن فنزل على فرسخ منها وتهيب الاقدام

عليها ۞ وقد كان الاركن امر الناس بالخروج اليه فخرجت
امة عظيمة وخرج الاركن في اربعة ءالاف مقاتل من عبيده
وخاصته وثقات اصحابه فقام بهم في معزل عن جيوشه ورعيته
بظاهر المدينة وعبى خيوله ورتب صفوفه وكان في المدينة داعيان
من دعاة كسرى فاغتنما الفرصة واهتبلاها عند خروج الملك
من المدينة لها فاتبعهما من كان اطاعهما فوثبوا بخليفة الملك على
المدينة فقتلوه واستولوا على المدينة وضبطوها وبينما الملك قائما
في جنوده بظاهر المدينة اذ اتاه رئيس الزمازمة حافيا حاسرا
يلطم وجهه وينتف شعره فامر الملك بحمله معه على فيله
واستحضره فاخبره بذهاب دار ملكه وخيانة رعيته فانحاز الملك
بخاصته ومن كان على بصيرة في طاعته وتوجهوا حامية نحو
الحصن وانتهى خبره الى المرزبان فجرد خيلا لاتباعه فادركوه
فوقف بازائهم من كف امرهم وسار حتى دخل حصنه ۞ واما
المرزبان فانه قصد المدينة فدخلها وضبطها واحكم امرها وسار
في جيوشه الى ذلك الحصن فراى منظرا عجيبا رايعا ومعقلا
ممنوعا مانعا ولم يمكنه النزول بالقرب منه فركض الى حيث
امن ونزل في جيوشه متحفظا وكتب الى الملك الهندي كتابا
يخاطبه فيه بالاعظام والاجلال ويعرض عليه خصالا ۞ منها
ان يرده الى مملكته مكرما مرفوعا على ان يدين بطاعة كسرى
۞ فلما انتهى رسول المرزبان الى الملك الهندي حجبه ولم ياخذ
كتابه وامره بالعود الى مرسله فيئس المرزبان منه ۞ وكان
يقال صرفك البصر الى عدوك اضاعة واصغاوك السمع الى حديثه
طاعة ۞ وكان يقال اذا امكنت عدوك من اذنك فقد تعرضت
للغرق في بحره والحصول في وهق سحره ۞ وكان يقال
عجبا لمن يصغي الى عدوه سمعا وهو لايجدي عنده نفعا ۞ وكان
يقال اذا عجزت عن التحصن من كلام عدوك فانت عن
التحصن من كيده اعجز ثم ان المرزبان عاد الى المدينة وكتب
الى كسرى بالفتح وما تهيا له وعليه من الامور فكتب
اليه كسرى يامره ان يقيم بتلك المملكة ويترك التعرض لذلك

اخذلك الاركن في حصنه الا ان يبدو منه فساد وان يذكي العيون عليه ويقيم المشايخ في جهات حصنه ففعل المرزبان ما امره به كسرى ولبث بذلك مدة وجعل اغتام الفرس يعيثون في تلك المملكة ويعاملون اهلها بالغظاظة والقسوة التي طبع الهندي على ضدها فدبت الشحناء في النفوس وداخلت اهل تلك المملكة الغيرة لما راوا ان خراج ارضهم يحمل الى غيرها وينفق في غير اهلها وعرفوا فضل ما كانوا فيه ومشقة ما صاروا اليه فبسطوا السنتهم وخاف المرزبان ان يردعهم عن القول فيستوحشوا فكف عنهم وكان ذلك داعية الى زيادتهم في بسط الالسنة ۞ وكان يقال ايدي الرعية تبع لالسنتها فاذا قدرت على ان تقول قدرت على ان تصول ۞ وكان يقال ترك نكير الصغاير مدعاة الى الكباير فاول نشوز المراه كلمة سومحت بها واول حران الدابة حيدة سوعدت عليها ۞ قيل واما الاركن الهندي فانه لما استقر في حصنه شاور وزراءه فاشاروا عليه بالصبر وكف الاذى وبسط العدل والاحسان وتامين السبل واجارة المستجير تالف المستوحش والاخذ بالعفو والفضل فاتخذ هذه الخلال دينا وشرعا يدين به فازدادت سمعته حسنا والقلوب اليه ميلا والالسنة له شكرا واتفق ان عاملا للمرزبان على ثغر من تلك الثغور اساء السيرة فقام اليه رجل كان افضل اهل عمله يعظه فكره العامل ذلك وكتب الى المرزبان يزعم ان رجلا من اهل عمله يعارض امره ويولب العامة عليه فكتب المرزبان يامره بحمله اليه مقيدا فاخذ العامل الرجل فقيده وبعث به الى المرزبان مع رجال من الجند فتبعهم احداث من فتيان ذلك الثغر وقاتلوهم فقتلوا اولئك الموكلين بذلك الرجل واطلقوه فجاء الرجل العامل فاخبره بما فعل اولئك الاحداث وانه عجز عن دفعهم فامر العامل بضرب عنقه وكان ذا منزلة عند اهل بلده فوثبوا بالعامل فقتلوه وقتلوا اكثر رجاله وضبطوا ثغرهم وانضوى اليهم من كان على مثل رايهم ومن كان في غير حصن وكاتبوا من يليهم فاجابوهم بمثل ما صنعوه وطردوا عمالهم وانتقضت الطاعة لكسرى في مواضع

كثيرة من تلك المملكة في اسرع مدة ولما انهي ذلك الى المرزبان جمع
جنده وضبط حضرته على حال ذعر وخوف شديد وكتب الى
كسرى يستمده وكان اهل حضرته عند ما خرج عنهم رئيس
الزمازمة وتوجه معهم ملكهم الى حصنه قد قدموا مكانه خليفة
وكان مرضيا عندهم فلما راى ما فيه المرزبان من الذعر والتوقي
وقصده من خافه بالمحنة والعقوبة دخل على المرزبان فقال له اني
اريد ان اسئلك عن امر ظننت علمه عندك فقال له المرزبان
قل فقال بلغني انه مما اوصى به ازدشير بن بابك ملك بابل
انه قال قد تخرج الرعية بعنف السياسة الى ما تريد من المعصية
۞ وانه قال في وصية ينبغي لمن تغلب على ملك وغصبه ربه
ان يحفظ الصورة والشريطة التي تسلم عليها تلك المملكة فانها
محفوظة عليه وثابتة في عقد تسلم تلك المملكة منه وانها ستخرج
من يديه بمثل ما صارت اليه ۞ وقيل ان هذه الوصية كانت
مكتوبة في مجلسه بازاء سريره وموضع قضائه ففهم المرزبان
ما اراد الا انه اراد الوقوف على ما عنده فقال له الامر على ما بلغك
ايها الشيخ فقال رئيس الزمازمة اذا كان الامر على ما بلغني
فالك لاتستعمل الحكمة التي علمت وعنفت في سياسة الرعية عنفا
لعله ان يخرجها عن الطاعة ولم تحذر خروج هذه المملكة من
يديك بمثل ما صارت اليك ۞ فلما سمع المرزبان ما قال رئيس
الزمازمة انتهره وتهدده وكان شيخا ضعيف البدن كبير السن
فسقط الى الارض مغشيا عليه وحمل الى منزله فمات بعد ايام
فعظمت المصيبة بموته وساءت القالة وسمحت النفوس من
الشقاق بما كانت عنه منقبضة وفشا ذلك في الرعية فشوا تاما
فاستحضر المرزبان وجوه من بحضرته فوعظهم وحذرهم بطش
كسرى ورغبهم في العافية فارضوه بالسنتهم وتسللوا عنه وفاته
امر اهل الاطراف والمنقصة وشغل عنهم المرزبان بتحصين
البيضة فبعثوا رسولا الى الازكن الذي كان معهم يسئلونه الصلح
عنهم وان يبعث اليهم رجلا يتحازون اليه فاعطاهم امانا تاما
واستعمل عليهم عاملا فالقوا اليه المقاليد واستنصروا في طاعته

ونصحوا في الذب عنه واضطر المرزبان الى ان يبعث اليه جيشا فبعث فعادوا منهزمين مغلولين ولم يجد بدا من الخروج اليهم بنفسه فحصن تلك المملكة واستخلف عليها من ظن انه يضبطها وخرج متوجها الى عدوه ۞ فلما فصل عن المدينة وثب اهلها باصحابه فاستوعبوهم قتلا وتشريدا واحرزوا مدينتهم وبلغ ذلك المرزبان فاستمر لوجهه خارجا من تلك المملكة حتى قدم على كسرى طريدا مغلولا وعاد الاركن الى دار مملكته فجرى على سنن العدل واخذ بالحزم وقمع شهواته واستعمل الحكمة التي افادته التجارب اياها ۞

،، روضة رائقة ،، ورباضة فائقة ،،

بلغني ان امير المومنين عثمان بن عفان رضي الله عنه قال لجلسائه وهو محصور في الفتنة وددت لو ان رجلا صادقا اخبرني عن نفسي وعن هولاء يعني الذين حصروه فقام شاب من الانصار فقال انا اخبرك يا امير المومنين انك تطاطات لهم فركبوك * وتخادعت لهم فسلبوك * وما اجراهم على ظلمك * الا افراط حلمك * قال صدقت اجلس ثم قال هل لك علم بما يثير الفتن فقال نعم ياامير المومنين سالت عن هذا شيخا من تنوخ كان باقعة قد نقب في البلاد وعلم علما جما فقال لي ان الفتنة يثيرها امران ۞ احدها اثرة تضغن الخاصة ۞ والثاني حلم يجري العامة ۞ فقال عثمان رضي الله عنه فهل سالته عما يخمدها فقال نعم وقال لي ان الذي يخمد الفتن في ابتدائها استقالة العثرة وتعميم العامة بالاثرة فاذا استحكمت الفتنة فليس لها الا الازم يعني الصبر ۞ فقال عثمان رضي الله عنه نصبر حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ۞

۞ تفسير الفاظ اشتمل عليها هذا الخبر ۞

قوله باقعة اي داهية مجرب ۞ ويقال فلان باقعة بقاع اذا طوف بقاع الارض واستفاد التجارب ۞ وقوله الاثرة هي اختصاص بعض المستحقين للشيء به دون بعض ۞ وقوله العامة يعني الخاصة ۞ وقوله تضغن اي تحقد والضغن الحقد ۞ وقوله

الازم هو الصبر والحبس وحقيقته الامساك على الشيء بالاسنان
☼ قال الشيخ الامام حجة الدين ابو هاشم محمد بن ظفر
رضي الله عنه هذا الحديث ينحوا الى ما ذكر الفرس ☼ ان يزدجرد
بن بهرام سال حكيما من الفلاسفة ما صلاح الملك ☼ فقال
الرفق بالرعية واخذ الحق منها بغير عنف والتودد بالعدل
وامن السبل وانصاف المظلوم ☼ قال فما صلاح الملك ☼ قال
وزراوه اذا صلحوا صلح ☼ قال يزدجرد ايها الفيلسوف ان
الناس قد اكثروا في الفتن فصف لنا ما يثيرها وما يسكنها
اذا ثارت ☼ فقال يثيرها جراة عامة ويولدها استحقاق خاصة
ويوكدها انبساط الالسن بضماير القلوب واشفاق موسر
وامن معسر وغفلة ملتذ ويقظة محروم ☼ فقال يزدجرد وما
الذي يسكنها ايها الفاضل قال يسكنها ايها الملك اخذ العدة
لما يخاف وايثار الجد حين يلتذ الهزل والعمل بالحزم والادراع
بالصبر والرضا عن القضا ☼

" ☼ السلوانة الرابعة ☼ "

وهي سلوانة الرضى ☼ قال ربنا تقدس اسمه عاتبا من خطا
حكمته وتدبيره ☼ وسخط قسمته وتقديره فان اعطوا منها رضوا
وان لم يعطوا منها اذاهم يسخطون ☼ ثم نبههم على ما حرموه من
فضيلة الرضى عنه بقوله ولو انهم رضوا ما ءاتيهم الله ورسوله
وقالوا حسبنا الله سيوتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون
☼ ووصف صفوته من خلقه بالرضى فقال رضي الله عنهم
ورضوا عنه ☼ ومما يفهمك معنى رضي الله عنهم ورضاهم عنه
ما روى ان موسى عليه السلام قال الاهي دلني على عمل اذا عملته
رضيت به عني فاوحى الله عز وجل اليه انك لاتطيق ذلك فخر موسى
ساجدا متضرعا الى الله سبحانه فاوحى الله عز وجل اليه يا ابن
عمران رضاي في رضاءك بقضاءي ☼

" * خبر نبوى في الرضا * "

☼ مما رويناه عن النبيء صلى الله عليه وسلم قال اللهم
اني اسئلك الرضى بعد القضا * قيل انما قال بعد القضا

لان الرضى بعد القضاء انما هو عبارة على العزم على الرضى وتوطين للنفس على الرضى بالقضاء اذا نزل وانما يتحقق الرضى بالقضاء بعد حصول القضاء ۞

٬٬ * خبر نبوي في مثل ذلك * ٬٬

۞ مما رويناه ان النبي صلى الله عليه وسلم لقي رجلا من اصحابه وقد اجهده المرض والحاجة فانكره النبيء صلى الله عليه وسلم فقال له ما الذي بلغ بك ما ارى قال المرض والحاجة يارسول الله فقال له افلا اعلمك كلاما ان انت قلته اذهب الله به عنك المرض فقال والذي بعثك بالحق نبيئا ما يسرني بحظي منها اني شهدت معك بدرا والحديبية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل لاهل بدر والحديبية ما للقانع الصابر ۞

* منثور ومنظوم حكم في الرضى *

روى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب الى ابي موسى الاشعري اما بعد فان الخير كله في الرضى فان استطعت ان ترضى والا فاصبر ۞ اعلم رحمك الله ان الرضى هو اطراح الاقتراح ۞ على العالم بالصلاح ۞ اذا كان القدر حقا ۞ كان سخطه حمقا ۞ من رضى حظي * من ترك الاقتراح ۞ افلح واستراح ۞ كن بالرضى عاملا قبل ان يكون لك معمولا ۞ وسر اليه عادلا والا صرت نحوه معدولا ۞ وقيل للحسن البصري من اين اتي الخلق فقال من قلة الرضى ۞ فقيل له ومن اين قل رضاهم عن الله فقال من قلة المعرفة بالله ومما قلته في الرضى ۞

* يامغرني فيما يجي ٬٬ وراجي فيما مضى *
* عندي لما تغضبه ما ٬٬ يرضيك من حسن الرضى *
* ومن القطيعة استعيذ ٬٬ مصرحا ومعرضا *

* ومن ذلك *

* كن من مدبرك الحكيم علا وجل على وجل *
* وارض القضاء فانه ٬٬ حتم اجل وله اجل *

* ومن ذلك *

* يامن يرى حالي وان لبس في ٬٬ غير ما يرضيه اوطار *

* وليس لي ملتحد دونه ٭ ولا عليه لي انصار *
* حاشا لذاك العز والفضل ان ٭ يهلك من انت له جار *
* وان تشاهلكي فيامرحبا ٭ بكل ما ترضى وتختار *
* كل عذاب منك مستعذب ٭ مالم يكن بعدك والنار *
* ومن ذلك *
* اذا انالم ادفع قضاء كرهته ٭ بشيء سوى تخطي له وتبرمي *
* فصبري له من حسن معرفتي به ٭ كان رضواني به من تكرمي *
* روضة رائقة ٭ ورياضة فائقة *

٭ قيل ان يزدجرد الاثيم بن سابور ذي الاكتاف لما ولد له ابنه بهرام جور اخبره منجموه بقوة مولده وسعادة جده ومصير الملك اليه بعد شدة ومحنة وطول اغتراب وانه ينشا غريبا بين امة نائية ذات همم عالية وحلوم زكية ونفوس ابية وبهم يصير الملك اليه فاجال فكره في الامم ومزاياهم فراى ان العرب اولى الامم بتلك الاخلاق التي وصفت له المنجمون ووقع اختياره عليهم فكتب الى النعمان الاكبر بن امري القيس بن عدي بن نصر اللخمي فاستحضره واشخص اليه جماعة وافرة من روساء العرب وساداتها فوصلهم وبرهم واخبرهم بما يريده من تمليك النعمان عليهم فانعموا له بذلك فشرف النعمان وتوجه وملكه على العرب وسلم له ابنه بهرام وامره بكفالته فاسترضع له النعمان اربع نسوة صحيحات الاجسام ٭ ذكيات الافهام ٭ ستيات الاعراق ٭ سريات الاخلاق ٭ امراتين من العرب وامراتين من الفرس واجرا عليهن ما يصلحهن وانكفى ببهرام الى بلاده فبنى له الخورنق لما اتفق عليه من طيب هوائه وفضيلة مائه فارضع المرضعات بهرام اربعة اعوام ثم فصلنه وقد صار غلاما خفرا لسرعة شبابه ٭ ولما استكمل بهرام خمسة اعوام قال للنعمان انظر في تعليمي ما تحتاج الملوك الى علمه فجرت بينهما في ذلك محاورة قد اودعتها كتابي المسمى درر الغرر المضمن انباء نجباء الابناء فكتب النعمان الى يزدجرد يسئله ان ينفذ الى ولده رجالا من حكماء الفرس وفقهائهم ومعلمي

كتابتهم فارسل اليه يزدجرد بحاجته منهم ثم ان النعمان ضم الى بهرام رجلا من علماء العرب وحكمائها ودهاتها كان ذا بصر بالسياسة وخبرة بكثير من اللغات وحفظ لاخبار الملوك وسيرها * ومعرفة بايام العرب وغيرها * وكان اسمه حلسا فافاد بهرام كل واحد من معلميه ما عنده من العلم * فلما استكمل من السن اثنتي عشرة سنة فاق معلميه كلهم واعترفوا بفضيلته عليهم واستغنائه عنهم * فصرفهم النعمان مكرمين فكره بهرام مفارقة حلس لكونه يجد عنده من المحاسن والاداب والسياسة والاخبار والدهاء مالم يره مجتمعا في غيره * فاستدعى النعمان من يزدجرد من يعلم ابنه الرماية والفروسية وما يحتاج اليه المحارب فبعث يزدجرد ما يحتاج اليه من ذلك فاقاموا عنده ثلاث سنين فاستفاد جميع ما عندهم من ذلك وصرفهم مكرمين وامسك حلسا لشغفه به * ولما استوفى من السن خمس عشرة سنة استاذن النعمان الملك يزدجرد في القدوم عليه بولده فاذن له في ذلك فوفد النعمان على يزدجرد بولده بهرام واوفد معه روساء العرب وزعماءها * فاحسن يزدجرد وفادتهم واكرم نزلهم واجزل صلة النعمان وضاعف تشريفه وسرحه وامسك ابنه بهرام عنده واحبس بهرام حلسا لعلوق نفسه به * وكان يزدجرد فظا غليظ القلب عسوفا شديد الكبر غليظ الحجاب مجتريا على سفك الدماء واغتصاب الاموال ولذلك سمي الاثيم فعامل ابنه بهرام بالقسوة التي طبع عليها واتعبه وكده واستعمله على شرابه فتبرم بهرام بما ناله من ابيه وعيل صبره وضاق ذرعه فشكى ذلك الى حلس فرق حلس لشكواه ثم اقبل عليه فقال له ما معناه جلى الله كربك * واعلا كعبك * واطاب ذكرك في قلوب الامم وافواهها * وكب لعزك ملوك العرب والعجم بجباهها * ان اولى الناس بامحاض النصيحة من كان معدوقا بها * ومندوبا لها * ومدعوا اليها * ومحضوضا عليها * وانه كان يقال النصائح بشعة المبادي * حلوة العواقب فهي كالادوية يسوء استعمالها * ويسر مئالها * ويذم عبها * ويمدح غبها *

وكان يقال الامين يصحب الملك من الوزراء والخاصة بالدوب على الخدمة والمبالغة في النصيحة ۞ والخائن يصحب الملك بحسن المدارات وافراط التذلل ۞ وكان يقال انما يسعد النصحاء بالملك اذا كان مويدا بفضيلة العقل ۞ منزها عن نقيصة الهزل ۞ وان لم يكن كذلك شقي به النصحاء وسعد به ذوو الملق وهذا لان الناصح ينفق على من نصح له من مواهب عقله وبالعقل تدرك فضيلة العقل ۞ وكان يقال اشد اللوم ان تضن بالنصح عمن سمح لك بالثقة وان تستر الصواب عمن هتك لك حجاب سره ۞ وكان يقال اولى النصحاء العقلاء بقبولك منه واقبالك عليه من كانت سعادتك شرطا في سعادته وعلة لها فمن كنت منه بهذه المنزلة فسعيه لك سعي لنفسه وذبه عنك ذب عنها ۞ ثم قال حلس لبهرام انه قد ساءني تبرم ابن الملك وضجره لما لقي من خدمة ابيه الملك وانا اشير على ابن الملك باظهار المسرة بما اظهر به التبرم والضجر اذ كان الملك قد استعمله على عمل لابد للعامل فيه من اظهار البشر والطلاقة وان من صحب الملوك بما لايوافقها تحركت عليه بالعطب ولا ينبغي مع هذا ان تظهر من ذلك ما تبطن خلافه فان الريا ينصل عن الطبع نصول الخضاب عن الشعر ۞ ولاكن ليتامل ابن الملك القضية التي كرهها بعين العدل يظهر له حسنها وذلك ان الملك استعمله على شرابه الذي هو جماع لذته وجالب طربه ومسرته وراحة نفسه من نصب التدبير ومشقته ووكل مع هذا حراسة مهجته اليه ورضيه بحفظها في مجالس ووثق بكفايته في صون شرابه ممن يليه وءافة يقصده بها اعداوه من جهة الشراب او خلل يدخله على غفلة السكر والاطراب وكيف يصلح ان يعدل عن الولد الحبيب النجيب بهذا العمل العلي قدره العظيم خطره ام كيف تطيب نفس الولد الفاضل ان يرا اباه صارفا هذا العمل الى سواه فليصرف ابن الملك فكره الى ما ذكرته له ليكون ما يظهره من الغبطة لهذه الخطة راجعا الى عقد يوافقه ومعنى يطابقه ولا

يتخلف من ذلك بما يتمنى رفضه ويتبرم منه ما يستحب نقضه فينم عليه بما اسره توهم الابصار ۞ فانه كان يقال الرياء سراب يخدع الفطن القاصرة ولا يخفى عن البصاير الباصرة ۞ وكان يقال انما يبسط سلطان الرياء على السمع والبصر اللذين يدركان الشهادة دون الغيب ۞ اما العقل فلا يبسط سلطان الرياء عليه لان الاول الاحد قد كاشفه بكثير من الغيب لاختصاصه اياه ۞ ثم قال حلس وقد فطن الدب على بلادته لرياء القرد ۞ فقال بهرام اخبرني بذلك ۞ فقال حلس ذكروا ان دبا كان يسرح في غيطة اشجار مثمرة وكان في تلك الغيطة قرود فكان الدب يرا قوة القرود على رقاء الاشجار والتطرف لاغصانها وتمكنها بذلك من اجتناء اطائب الثمر فحدث نفسه ان يصيد قردا منها فيكلفه ان يجتني له الثمر فصعد شجرة والقى نفسه منها والقردة تنظر اليه وجعل يتصور ويتخبط طويلا ثم تماوت فخفت وفتح فاه واخفى نفسه واجتمع القردة لرويته فقال لها حازم منها انه لايبعد ان يكون هذا الدب متصنعا خادعا وان الحزم ان يتجنب ويتحذر منه فان لم يكن بدمن الدنو منه فهلم نجمع حطبا ونذره حوله ونضرم فيه نارا فان كان متصنعا احترق وان كان ميتا فلا ضرر علينا في احراقه ۞ وانه كان يقال عدوك ضدك وحكم الضدين التناءي والتنافر والتباين والتدابر ۞ وكان يقال لاتطا ارضا يطاها عدوك الا على ترقب واحتراس وتوقي افتراس ولا يغرك خروجه منها وبعده عنها فربما رتب فيها شباكا ونصب لك بها اشراكا ۞ وكان يقال لاتغش عدوك الا متسلحا متحرزا متحفظا ولا يغرك منه استسلامه والقاوه السلاح فما كل سلاح يدرك بالبصر * وقد غر الراهب اللص بمثل ذلك فتم له عليه ما اراده ۞ فقالت القردة اخبرنا عن ذلك فقال القرد ۞ ذكروا ان راهبا من الرهبان كان فاضلا وكان متبتلا في قلاية له بظاهر اللاذقية وكان شيخا فانيا قد نهكته العبادة وكان النصارى يخصونه بالصدقات فيقبلها ويعطيها اهل الفاقة لزهده في الدنيا ۞ وان لصا

من اللصوص راى كثرة ما يخص به ذلك الراهب من الصدقات فحدث نفسه بان يتسور عليه قلايته وظن انه سيصيب عنده كنزا فتحيل ليلة من الليالي حتى تسور القلاية وحصل مع الراهب في بيت تعبده فوجده قائما يصلي والسراج يزهر في البيت فصاح اللص بالراهب استاسر ايها الشيخ قبل ان الني عنك راسك ۞ فالتفت الراهب فوجد اللص فاذاهو شاب شديد البنيه في يده سيف مشهر فعلم انه لاقبل له به فقطع صلاته وفر بين يدي اللص الى ناحية من البيت في حائطها طاقة فادخل الراهب راسه في الطاقة ورد يده الى خلفه كما يصنع بالمكتوف فلما راى اللص ان الراهب قد استلم وخبى راسه الني سيفه ووثب نحو الراهب ليقبض عليه فانخسف به ما تحته وسقط في دهليز القلاية سقوطا اوهنه فمكث على حالته لايجد محيصا عن الموضع الذي حصل به حتى اصبح فدل الراهب عليه فاخذ وصلب ۞ وقد كان الراهب اتخذ في طريق الطاقة ثقبا وجعل عليه طبقا ينقلب بلولب اعتمد عليه الراهب وغطاه ببعض فرش البيت فلما قصد الى الطاقة هاربا بين يدي اللص خطر من الموضع وتخطاه لمعرفته بموضعه فلم يضع رجليه على الطبق واللص لم يعرف ذلك ولا استعمل الحزم في التحفظ بل عول على ما ظهر له من استسلام الراهب ولم يدر انه قد اعد له سلاحا لايدركه البصر ۞ فلما سمعت القردة المثل الذي ضربه لها حازمها وقفت عن الاقدام على الدب وانتشرت تجمع الحطب لاحراقه ۞ فاتى غر من القردة لم يكن حاضرا ذلك الموضع ولا سمع بمقالة الحازم فدنى من الدب واصغى باذنه الى انف الدب ليستمع حس نفسه فقبض الدب عليه وعمد الى عرق من عروق الخيزران فربط طرفه في وسط القرد وكلفه ان يصعد الشجر فيجتني اطائب الثمر ويلقيه اليه والدب ممسك بالطرف الاخر من الخيزرانة فلبث القرد بذلك بقية يومه ثم انصرف به الدب الى غار فادخله فيه وسد بابه عليه بصخرة ۞ ولما اصبح غدا الى القرد واخرجه من الغار وانطلق به الى الغيضة فجنى له الثمر

عامة نهاره ثم راح به الى الغار فسجنه به فلبث كذلك مدة والدب
قد بلغ منـاه والقرد في اسوا حال واعظم مشقة فيصل نهاره
في خدمة الدب ويبيت ليله في سجنه ۞ وكان يقال
من تعرض لما لا يعنيه تورط فيما يعنيه ۞ وكان يقال شهوات
العاقل من وراء فكرته فاذا انبعثت له مرت بفكرته فنظر
في مباديها وعواقبها وتدبر فيها بحكم الراي ۞ وفكرة
الاحمق من وراء شهوته فكلما انبعثت له شهوة مرت نـافـذة
لوجهها لايصدهـا شيء ۞ وكان يقـال انما صار يسير المؤونة
المتحملة للعدو شاقا لان الارواح تتحمل الابدان فيصير الاذى
بها عاما وليس كذلك المؤون المتحملة للحبيب لان الارواح
تتلذ بها وتستخدم الابدان لهـا ۞ قـيل ثم ان القـرد
تفكر في حاله فظهر له ان نصيحته في خدم الدب تمنعه من
الخلاص منه فندم على نصحه في خدمته وعلم انه لن ينجيه
منه الا الحيلة فطالت فكرته في ذلك الى ان اتجه له وجـه
الحيلة ۞ وكان يقـال اذا كان الملوك ميت الشهوة بليـد
الفكرة رذل الهمة فهو سلم لمالكه وان لم يكن بهذه الصفات فان له فيه
شريكا هو املك به من سيده وذلك انه اذا كان متحرك الشهوة
كان منقادا لطاعتها فاذا صحت فكرته اعملها في طلب الراحة من
النصب وادامة الجـم والخلاص من الاسر واجتهد في الدفـع
عن نفسه فاذا سمت همته اتصف بالغضب والانفة والحقد وتدبر
كما يريد لا كما يريد سيده ۞ قيـل وكان مما عـول
عليه القرد من الخديعة للدب ان يتظاهر بضعف البصر فصـار
يلقي الى الدب من الثمر لاخير فيه فزجره الدب فـلم ينزجـر
فضربه فلم يرتدع ۞ فـلما طال عصيـانه عليه قال له اني قد
سئمت من زجرك وضربك وقد حدثت نفسي باكلك لانه
لم يبق لي فيك منتفع ۞ وكان يقـال اذا لم تجد من
الخدمة الا من اسـاء ادبه فاخدم نفسك ولا تستخدمه لانـه
يحمل على قلبك اضعاف ما يحمل عن بدنك ۞ فقـال القر[د]
اني لست على ما تصفني به من سوء الادب ولو قتلتني لندمت

كما ندم الطحان حين قتل حماره ❁ فقال له الدب اخبرني عن ذلك ❁ فقال حكي ان طحانا كان له حمار يطحن به وكان له زوجة سوء بحبها وهي تحب جارا لها وذلك الجار الذي تحبه يبغضها ويمتنع منها فراى الطحان في منامه قائلا يقول له احفر في موضع كذا من مدار الطاحونة تجد كنزا فاخبر امراته برؤياه وامرها بكتمانه ❁ وكان يقال من زعم يجد راحة في افشاء سره الى غيره فاتهم عقله لان مشقة الاستبداد بالسر وترك المشاركة فيه قل من مشقة الحذر في انتشاره بسبب المشاركة فيه ❁ وكان يقال امران يسلبان الحر كمال الحرية وهما قبول البر وافشاء السر ❁ وشرح هذا ان من قبلت بره فقد اوجبت على نفسك الخضوع له * والاحسان يرق الانس وكذلك من اطلعته على سرك فان حذرك في افشائه يلزمك ذل التقية به * وكان يقال المراة موهلة لبيت تعمه وطعام ترمه وولد تربه ومغزل تديره وشبق تسكنه وتثيره فمن اشركها في امره واطلعها على سره فقد التحق بعالمها اذ ليس في قواها الالتحاق بعالمه * قيل فلما حدث الطحان امراته برؤياه اخبرت بها جارها الذي تهواه وتقربت بها من قلبه فواعدها ان يطرقا الموضع ليلا ليتعاونا على حفره وفعلا ذلك فوجدا الكنز واستخرجاه * فقال جار المراة لها كيف نصنع بهذا المال فقالت المراة نقسمه نصفين بالسوا فينطلق كل واحد منا بنصفه الى منزله وتفارق انت زوجتك واحتال انا في فراق زوجي ثم تتزوجني فاذا اجتمعنا على النكاح جمعنا المال فكان بايدينا فقال لها جارها اني اخاف أن يطغيك الغناء فتنكحي غيري * فانه كان يقال الذهب في المنزل كالشمس في العالم * وكان يقال من بلغ من اليسار ما فوق قدره تنكر لمعارفه * وكان يقال اليسار مفسدة للنساء لغلبة شهواتهن على عقولهن * وكان يقال لاتسمح لمولدك ولا لامرتك ولا لخادمك بما فوق الكفاية فطاعتهم

لك بقدر حاجتهم اليك * ثم قال لها بل الراي ان يكون جملة المال عندي لتحرصي على التخلص من زوجك واللحاق بي فقالت له المراة اني اخاف منك مثل الذي خفت مني ولست مسلمة اليك حظي من هذا المال فلا تحسدني على حظي منه وقد اثرتك بالدلالة عليه * فانه كان يقال انما صار العدل والانصاف مشكورا عليهما لفساد الزمان لان الشكر انما يجب لمن تفضل بحق هو له * فاما من اعطى الحق اهله فهو محمود لامشكور * فلما سمع مقالتها دعاه البغي والشره والحذر من نميمتها عليه الى قتلها فقتلها والقاها في موضع الكنز وبغته الصبح فاعجله عن مواراتها فاحتمل المال وخرج ودخل الطحان في اثره فربط حماره في المدار وصاح به فمشى خطوات ثم اعترض الحفير والقتيل بين يديه في مداره فوقف فضربه الطحان ضربا شديدا والحمار يتلوى ولا يمكنه التقدم والطحان لايدري ما بين يدي الحمار فاخذ سكينا فنخسه نخسات كثيرة ثم استشاط غيظه فطعنه بها على خاصرته فمرت فيه السكين فسقط ميتا ولما انتشر الضوء راى الطحان الحفير ووجد امراته فيه قتيلا فاستخرجها فراى اثار الكنز فاشتد اسفه على ذهاب الكنز وهلاك المراة والحمار فقتل نفسه * فلما سمع الدب مقالة القرد قال له قد ظهر لي فيما ذكرت من المثل عذر الحمار فما عذرك انت * فقال له القرد ان بصري قد ضعف واخاف عليه ان يذهب بالجملة فان رايت ان تنظر في صلاحه فذلك بيدك * فقال له ومن لي بصلاح بصرك فان فيه صلاحي ۞ فقال القرد ان الاطباء لكثيرة ولكن العاقل لايستطب لامه من لم يكن من عالمه ۞ وان للقردة بهذه الارض طبيبا تصفه باجادة الفتيا والزهد في متاع الدنيا واني لاستروح العافية واستلوح الفرج من تلقائه فاجابه الدب الى ما اراد فقصد به القرد قردا كان موصوفا بالخبث والدها فلما بلغا اليه فر من الدب فصعد شجرة عالية وقام الدب تحتها فقص عليه قصة غلامه ورغب اليه في مداواته * فقال القرد الخبيث دعه

يطلع حتى انظر الى عينه فارخى له في الخيزران فصعد اليه وجعل القرد الخبيث يتامل عينيه ويساله عن خبره فقص عليه خبره مع الدب وساله ان يفتح له باب المكر والمكيدة في الخلاص من يديه ۞ فقال له القرد الخبيث اني ساحمله على السهر فاحتل لنفسك في انتهاز الفرصة وكن على حذر اذا نام من ان يتناوم ليختبرك ثم امره بالنزول فنزل فاقبل القرد الخبيث على الدب فقال له ينبغي ان اعرفك داء عبدك هذا قبل ان ادلك على دوائه اذ يستحيل العلم بالدواء من الجاهل بالداء ۞ اعلم ان القردة انما صحت جسومها وقلت لحومها وتوقدت فطنتها وفهومها وجعلت ليلها حظا من مساعيها لانها وفرت على السهر دواعيها ۞ وانه كان يقال كثرة النوم تجلب الدمار وتسلب الاعمار ۞ وكان يقال من لزم الرقاد عدم المراد ۞ وكان يقال لايصح ان يقال في حد الجود انه سماحة النفس بالنفس ولو صح هذا لكان اجود الاجواد من كثر نومه لانه سمح بحياته التي لايجد لها كفوا ولا يصيب منها عوضا ۞ ثم قال القرد الخبيث للدب انك لما اخرجت عبدك هذا عما اعتاد ادخلت عليه الفساد كما صنع بالطائر الذي صيد لابنة الملك فقال له الدب اخبرني عن ذلك فقال القرد الخبيث ذكروا ان ملكا من ملوك اليونانيين كانت له ابنة تكرم عليه جدا فهاجت بها المرة السوداء فادخلت عليها انواعا من الامراض وبلغ بها الامر الى الامتناع من الغذاء والدواء فامر طبيبها بان تنقل الى ارتفاع تشرف منه على بستان مونق وماء جار ففعل ذلك بها فرات في اليوم الذي نقلت فيه اليه طائرا فيه من كل لون حسن قد نزل على دالية فاكل من عنبها ثم غرد تغريدا عجيبا بانواع النغم المطربة فارتاحت الجارية لما رات وسمعت من الطائر فاستدعت الغذاء ۞ وكان يقال افضل النغم المطربة ما سمع من الصور الحسنة لانه يهيج الشهوة والطرب جميعا فتتظافر القوتان ويفعلان فعل الادوية المركبة فانها انجع من الادوية المفردة واشد فعلا ۞ قيل ثم

ان الطائر اسرع الذهاب ولم يعد يومه ذلك ۞ فظهر على ابنة الملك القلق لغيبته ولما كان الغد عاود الطائر الدالية في مثل وقته بالامس فبشرت ابنة الملك بعوده فاستبشرت وارتاحت واكلت وشربت وانصرف الطائر من يومه كما انصرف في امسه فعاودها القلق لغيبته وبلغ الملك خبرها في ذلك فامر باصطياد ذلك الطائر فاصطيد وجعل في قفص واتحف ابنته به فاشتد سرورها واغتذت وتداوت وراى الطبيب انتعاش قواها فعالجها وطمع في سلامتها ولم يعلم بامرها مع الطائر وان ذلك الطائر لبث عندها اياما لايصوت ولا يطعم شيئا واخذ حسنه في التغير فعادت الجارية الى اسوء احوالها وجعلت تذوب لما نالها من الاهتمام بامر الطائر مضافا الى مرضها وعلم بذلك ابوها فندم على اصطياد الطائر ۞ وكان يقال لاتكن تلميذا لمن يبادر الى الاجوبة عن المسائل قبل ان يتدبرها ويتفكر فيما يتفرع منها ويعد لدفع ما يمكن ان يعترض به عليه جوابه ويلزمه خصمه من المناقضة لاصوله كما انك لاتستشير الغر الذي لايتجاوز مبادي الاراء الى عواقبها ولكن تلمذ لمن يتفكر في الاواخر قبل ان يجيب عن الاوائل كما تشاور المحتنك المتدبر لبواطن الامور وظواهرها المطلع على مباديها وعواقبها ۞ قيل فلما علم الطبيب ما انتقلت اليه الجارية من الفساد عرف ان ذلك لعارض طرا عليها فبحث عنه فاطلع على قصتها في الطائر فامر بان تنصب شباكا محيطة بالبستان علوا وسفلا فصنع ذلك على ما اشار به ثم اطلق الطائر في البستان فلما رجع الطائر الى ما اعتاده والفه راجعته صحته وحسنه وعاود تغريده فصلح بذلك حال الجارية وشفيت من مرضها ۞ قيل فلما قضى المثل قال له الدب قد سمعت مقالتك ووعيت حكمتك فامرني بما فيه مصلحة عبدي هذا اطع امرك فقال له القرد اني ءامرك ان تتاخر في مسرحك جزءا من الليل فان في ذلك زيادة في عمرك وطعمتك ونعمتك ومهيجا لنشاطك وانبساطك ومضاعفا للذة منامك ومساعفا بمصلحة غلامك فشكره الدب على

نصحه وانطلق بعيده الى مسرحه فاجتنى له نهاره اخابث الثمر فلما جاء الليل اظهر القرد نشاطا وفرحا واجتنى في اضعاف ما يجتنيه ثمرات طيبات فلبث بذلك صدرا من الليل ثم انكفى به الدب الى المغارة فسجنه بها وغدا عليه كعادته ولبث القرد اياما يتظاهر فيها اذا جاء الليل بقوة البصر ويجتني للدب اطائب الثمر حال تدريج والدب لم تسكن نفسه الى الثقة بالقرد بل يتكهن عليه انه مراي متصنع خادع وكلما يزيد القرد من تصنعه يزيد الدب من الريبة به وانه ليلة من الليالي اراد الانصراف الى ماواه فجعل يماطله ويقول له ههنا ثمرات طيبات فيتاخر الدب لما طبع عليه من النهمة والشره وكانت ليلة مقمرة فحدث الدب نفسه بان يتناوم ليختبر القرد ويمتحن ظنه به فتناوم وجعل يغط فما كذب القرد ان وثب هاربا فجذبه بالخيزرانة جذبة شديدة فقطع ظهره وهلك ۞ قيل ولما بلغ حلس غاية هذا المثل الذي ضربه لبهرام امسك عن القول ۞ فقال له بهرام ما ابهجني بقربك واقر عيني بما تفيدني من حكمتك وتضربه لي من امثالك وتجلوه علي من ملحك واين بقيت الى ان تدول لي دولة لاجعلنك اول داخل علي وءاخر خارج عني وساروض نفسي بادبك هذه مستعينا بالله ۞ فسجد حلس ودعا له بانجح الامل ثم ان بهرام جور شهد والده في ليلة من ليالي سروره وقد نضد النوار بين يديه فكان مثل الزرابي المتخملة والتيجان المرصعة فتذكر بهرام ايامه عند النعمان وانتجاعه الرياض الانيقة وشربه فيها على الازاهير المطلولة الى ماكان ينعم به من مباكرة الوحوش ومعانيها ومرادها والتفكه بطرادها واصطيادها فاطرق واستولت عليه الفكرة وعبس وتنفس وابوه يزدجرد يسارقه النظر ثم انه استفاق فنظر الى ابيه وعلم انه كان بمراى منه ۞ فاسقط في يده ولم ينهض الا ساعة حتى قبض الملك فنهض كل من بحضرته من ندمائه وسماره وكانت تلك عادة ملوك الفرس اذا عبس الملك منهم او اطرق لم يبق بحضرته احد الا استوى قائما على حال خشية وسكون

وكان ليزدجرد مضحك طريف اللسان لطيف الفطنة حسن الابداع جيد البديهة حلو النادرة /فحضر ذلك المقام وفطن الامر الذي تنكر له الملك وان ذلك لما كان من عبوس ولده واطراقه في مجلس المسرة فحدث ذلك المضحك نفسه بان يحسن الى بهرام ويصطنع عنده يدا فتحيل له بحيلة يخلصه بها من غضب الملك ۞ وبينما هو يناجي نفسه بالحيلة في ذلك اذ رفع الملك راسه الى المضحك فنظر اليه كانه يحركه على ان يصنع شيئا فيه سلوة له فسجد المضحك ثم جثا على ركبتيه وقال ان العبد الذليل يستاذن الملك الجليل في ان يخبره عن نفسه بخبر عجيب فنظر اليه بهرام كالاذن له ۞ فقال المضحك ان العبد كان في حداثة سنه كلفا بالنساء مغرط الميل اليهن الا انه كان ملولا لايثبت على محبة من احب منهن وكان كلما استحسن امراة هام بها وتهالك في حبها ۞ وكان يقال من اتبع لحظه هواه ادحضه واهواه ۞ وكان يقال كن من عينك على حذر فرب جنوح حين * جناه جموح عين * وكان يقال ما احرى الملول بان يحرم الماموك ۞ وكان يقال السآمة من اخلاق العامة ۞ وكان يقال التنقل من خلة الى خلة كالتنقل من ملة الى ملة ۞ ثم قال المضحك وان العبد دخل بلاد السند فبينما هو يطوف ببعض مدنهم اذ راى امراة لم ير قبلها مثلها في حسن الصورة وامتداد القامة ورشاقة الحركات ولباقة الاشارات وسحر الطرف وتالق الظرف فتبعها العبد وهو لايرى موطي قدميه من الدهش حتى بلغت منزلها فدخلته ولزم العبد باب منزلها ليلا ونهارا فارسلت اليه تستعفيه من لزوم بابها وتحذره سطوة اهلها ۞ فشكى العبد الى رسولها ما يلقاه من الشغف واعلم الرسول انه لامعدل له عن بابها وانه مستميت في طلابها فلهيت عن العبد مدة ثم اعادت الرسول اليه فاعاده العبد اليها بمثل كلامه الاول فارسلت الى العبد اني اظن تقول لك بك الملل والغدر ولولا ذلك لاسرعت الى مساعفتك واني متزوجك بشرط

الوفاء فان غدرت بي اهلكتك بعد ان انكل بك نكالا يضرب به المثل فان الزمت هذا الشرط فاقدم والا فانج بنفسك قبل ان يتعذر عليك الخلاص ۞ وكان يقال اربعة ترتفع الرحمة عنهم اذا نزل بهم المكروه من كذب طبيبه فيما يصف له من دائه ۞ ومن تعاطا النهوض بما لا يستقل باعبائه ۞ ومن بذر ماله في لذاته ۞ ومن اقدم على ما حذر من اناته ۞ وكان يقال من بصرك فقد نصرك ۞ ومن وعظك فقد ايقظك ۞ وكان يقال من اوضح وبين فقد نصح وزين ۞ ومن حذر وبصر فما غدر ولا قصر ۞ قال المضحك فالتزم العبد الشرط واعطى من نفسه المواثيق على الوفاء ۞ فتزوج العبد المراة وبلغ منها امنيته فلبث معها مدة فزارتها ترب لها فلمحها العبد فاعجبته ومالت نفسه اليها فتبعها العبد الى منزلها وجعل يراسلها ويلازم بابها فتبرمت منه وشكته الى امراته فعاتبته على ذلك وزجرته واذكرته العهود ونهته فازداد العبد لجاجا فلما رات ذلك منه سحرته فصار اسود اللون مشوه الوجه وجعلت تستخدمه في كل مهنة فما شغله ما هو فيه عن ان هوى امراة سودا فجعل يتبعها في تصرفه ويتعلق بها ويوذيها فلما كثر ذلك على الامة شكته الى امراته التي سحرته ۞ وكان يقال انما كان طبع المطبوع املك به من ادب المودب لان الطبع اصلي وتمده القوى الناشية معه فهو املك بالنفس التي هي محله لاستنباطه اياها وكثرة اعوانه والادب طار على المحل غريب منه ۞ وكان يقال اضل المودبين سعيا من رام من المتادب ان يعاونه على نفي طبعه عنه وكيف وطبعه اولى به واثر عنده من مودبه لكن المودب الماهر من طالب المتادب بستر المذموم من طباعه وتعميته والتورية عنه ۞ قال المضحك فلما بلغ امراة العبد ما كان منه اشتد غيظها عليه ثم سحرته فصار حمارا فجعلت تكريه ممن يستعمله في اشق الاعمال وتستحمله اثقل الاحمال فلبث بذلك مدة طويلة ولم يشغله ما هو فيه من البلاء عن ان هوى اتانا فاشتد شغفه بها وكان كلما راها نهق وطلبها اشد الطلب

ويرد عنهما بالضرب فيلقي من ذلك بلاء شديدا ❁ واتفق ان امراة العبد التي سحرته زارت ابنة ملك تلك المدينة فكانت معها في علو لها تشرف منه على ما حوله وكان العبد في ذلك اليوم قد استاجره شيخ ضعيف البدن كبير السن فاحتمل عليه اواني فخار في جولقين ومر به على قصر ابنة الملك فرأى عند القصر الاتان التي يهواها فما ملك نفسه ان نهق وقصدها وفعل ما يفعل الحمير عند مثل ذلك وجعل الناس يضربونه من كل جانب والفخار يتساقط عن ظهره والشيخ صاحب الفخار يصيح ويستغيث بالناس وجعل الصبيان والسفلة يعطعطون من كل جانب وجهة والاتان فارة بين يدي العبد ترمحه وهو يطلبها على تلك الحالة فرات ابنة الملك ذلك كله فاعجبها واضحكها فقالت لها امراة العبد التي سحرته يا ابنة الملك الا اخبرك باعجب مما رايت من هذا الحمار فقالت بلى فافعلي فقالت انه زوجي وقصت عليها خبر العبد فاشتد تعجبها مما سمعت وسرت ❁ ثم سالتها ان تبطل سحر العبد وتخلي سبيله فاجابتها الى ذلك وابطلت السحر عن العبد فعاد بشراسويا ولم يكن له هم الا الفرار من بلاد السند فلما انتهى المضحك من حديثه الى هذا المبلغ سكت ❁ وكان الملك يزدجرد قد اشتد ضحكه لما سمعه من حديث المضحك ولما شاهده من حركاته في وقت حديثه فلما سكن ضحكه لما سمعه وعاوده الوقار والابهة اقبل على المضحك وقد اكفهر له فقال ويحك ما حملك على ان تكذب هذه الكذبة الشنعاء كانك ما علمت انا نحظر الكذب على رعيتنا ونعاقبها عليه ❁ وقالت الحكماء الكذب كالسموم التي تقتل اذا استعملت مفردة وقد تدخل في تراكيب الادوية فينتفع بها فلا ينبغي للملك ان يطلق الكذب الا لمن يستعمله في المصالح كالكذب في كيد الاعداء وفي تالف البعداء كما لا ينبغي ان يطلق ملك تلك السموم التي ذكرناها الا للمامونين عليها المانعين من المفسدين ❁ فقال المضحك ايها الملك السعيد ان هذا مثل تضمن من الحكم ما يعود بمصلحته على المرتاض

بـه بي والذي حملني على ذكره امر يلزم ستره عن غير الملك فاشار الملك الى جلسائه فقاموا فخرجوا عن مجلسه ۞ ثم قال للمضحك هات ما عندك ۞ فقال المضحك ان عبد الملك يخبره ان ولده الفاضل بهرام عاشق فقال الملك لمن قال لابنة الاصبهبذ فقال الملك لقد كان من بهرام في هذه الليلة ما يدل على صدقك ولا لوم على ولدنا في ذلك اذ لم يضع من نفسه بمحبة ابنة حافظ ملكنا وسيدا وابائنا وسنبلغ ولدنا امنيته ونحسن اليك باطلاعنا على امره فاكتم ذلك حتى ننفذ مبلغ امرنا فيه ثم ان يزدجرد اذن لولده ولندمائه وسماره ومطربيه فعادوا الى مجالسهم واخذوا فيما كانوا فيه فرجع الى يزدجرد سروره وطربه الى ان انقضى مجلسه وخرج القوم من عنده فتبع المضحك بهرام واخبره بالخبر على وجهه فشكر له ذلك ووصله ۞ ثم ان يزدجرد انكح ابنه بهرام بنت الاصبهبذ ولم يزل بهرام يروض نفسه على الرضى بخدمة ابيه حتى انقادت لما اراد منها فلبث بذلك الى ان قدم اخ لقيصر على يزدجرد ساعيا في الصلح والهدنة والموادعة فاكبر يزدجرد قصده وعرف له فضيلته واحسن نزوله فلما راى بهرام منزلة اخي قيصر عند يزدجرد استشفع به عنده في رده الى النعمان فشفعه واذن لبهرام فتحول الى بلاد العرب فكان فيها ما احب الى ان هلك ابوه فورث ملكه ۞

۞ * قال الشيخ الامام حجة الدين * ۞

۞ * ابو هاشم محمد بن ظفر رضي الله عنه * ۞

هذه خاتمة سلوانة الرضى وقد عن لنا ان نذكر ما تكمل به بهجتنا وهو الاخبار عن مهلك يزدجرد وما احدث رعيته بعده وكيفية مصير الملك الى ابنه بهرام وذلك فيما ذكره المعتنون باخبار ملوك الفرس ان يزدجرد لما كثر عسفه واشتد عتوه وعدل عما نهجه سلفه من العدل والرافة اجتمع وجوه رعيته من ذوي الصلاح عندهم فدعوا الله سبحانه على يزدجرد وسالوه معافاتهم منه ۞ فرحم الله تعلى ضراعتهم

واستجاب دعاءهم وبينما يزدجرد جالسا في متنزه له اذ دخل عليه حاجبه فاخبره ان فرسا متوحشا عربيا قد جمع محاسن صفات الخيل فهو ذو صورة لم ير الراءون مثلها جاء يشتد عدوا حتى قام بباب الملك وان الناس تهيبوه فلم يجتر احد ان يدنو منه وان الخيل قد نافرته فلم تقدم عليه فاستخف يزدجرد ما سمعه من وصف الفرس فنهض نحو الفرس فلما عاينه ملي الجابا ودنى منه فخضع له الفرس فمسح يزدجرد على ناصيته وامر باسراجه والجامه فالجم واسرج ❁ فيقال ان يزدجرد استدار بالفرس ومسح كفله فرمحه الفرس رمحة خر ميتا وملا الفرس فروجه عدوا فما عرف الى اين توجه ❁ ويقال بل ركبه يزدجرد وحركه فسبق الابصار حتى اتى البحر فاقتحم فيه ❁ والله اعلم اي ذلك كان ولما راى الفرس ان الله قد اراحهم منه اجمعوا على ان يخرجوا الملك عن ولد يزدجرد خوفا ان يسن فيهم سنة ابيه فملكوا رجلا من ابناء ملوكهم السالفة يقال له كسرى وكان مرضيا عندهم فمحا ما شرعه يزدجرد من المظالم واعفى الفرس من جميع ما كرهوه فعرف الفرس بركة رايهم في تمليكه ❁ وانتهى الخبر الى النعمان فاطلع عليه بهرام واخبره انه عاضده وناصره وباذل نفسه وماله في مرضاته فشكر له بهرام وامره بشن الغارات على اطراف بلاد الفرس مع الكف عن سفك الدماء وامر النعمان العرب بفعل ذلك ففعلوه فاشتد ضررهم وارسلوا الى النعمان يستشفعونه ويسئلونه العود الى احسان المجاورة فلما انتهى الرسل الى النعمان قال لهم انما انا خادم الملك بهرام افعل ما امرني به فاذهبوا اليه فذهبوا اليه فلما عاينوه ملا عيونهم جمالا وصدورهم جلالا فخروا له ساجدين وسالوه العفو والصفح فاجمل خطابهم وبسط امالهم وامرهم ان يبلغوا من وراءهم انه حسن الراي فيهم مومل لاصلاح شانهم وانه متوجه اليهم ليتولى اخبارهم عن نفسه واقامة الحجة عليهم فليتاهبوا لذلك ❁ ثم ذهب الرسل مكرمين وامر النعمان فكتب له عشر كتايب

في كل كتيبة الف فارس من انجاد العرب ثم سار فيهم وسار النعمان بين يديه في جيش كثيف فلم يكن عند الفرس لهم مدفع حتى انتهو الى دار الملك فنزل بظاهرها فخرج اليه زعماء الفرس وحفظة دينهم ونصب لبهرام كرسي فجلس عليه وقام النعمان بين يديه وتقدم اليه القوم فسجدوا له وقاموا بين يديه فاذن لهم في الكلام فتكلم رئيس الموابذة فحمد الله وذكر رافته ورحمته برعيته وخلقه ثم ذكر ما سار به يزدجرد من الجور والعسف وما فعل الله به ۞ ثم اتبع ذلك بذكر كراهة الفرس للتمليك من ولد يزدجرد لما يتخوفونه من سلوكه سلوك والده لاسيما وقد نشا بين الاعراب الذين يصلحون جسومهم باخراب الارض ۞ وساله ان يعفي الفرس مما كرهوا فانهم لايملكونه طائعين ولا يقصرون في دفاعه عن ذلك بكل ممكن فلما قضى رئيس الموابذة كلامه تكلم بهرام فحمد الله وشكر نعمته عنده وصدق رئيس الموابذة فيما نسب اليه يزدجرد من الجور والعسف ۞ ثم اتبع ذلك بذكر ما كان يتمنى من مصير الملك اليه ليزيل رسوم الجور ويشيد قواعد الحق و يذيق الرعية من حلاوة رافته واحسانه اضعاف ما اذاقهم ابوه من غلظته واساءته ثم اعلمهم انه لايترك تراث ابيه ولا يالوا جهدا في تحصيله وانه مع ذلك يدعهم الى ان يضعوا تاج الملك وزينته بين اسدين ضاريين ويحضر هو وكسرى المتغلب على ملكه فمن اخذ التاج والزينة من بين يدي الاسدين فهو بالملك احق واولى ۞ وذكر لهم رافة برعيته وصونا لهم من مقاومته وثقة بنصر الله تعلى وعونه له لما يعلمه من حسن طويته وخلوص نيته ورغبته في اصلاح الارض واهلها فرضي زعماء الفرس بما بذله بهرام من نفسه ورجوا الراحة منه بذلك من غير مشقة تنالهم في دفعه وانقلبوا عنه متعجبين من جماله وكماله وفصاحته وابهته ۞ ثم انهم عمدوا لاسدين ضاريين فجوعوهما واخرجوهما الى ظاهر المدينة في قفصين من حديد وفي عنق كل واحد منهما سلسلة في طرفها وتد من

حديد فضربوا الوتدين بمختلفتين وجعلوا بينهما بقدر ما اذا
خرج كل واحد من الاسدين فقصد الاخر بلغ اليه وجعلوا تاج
الملك وزينته بينهما وبحيث يمكن كل واحد من الاسدين
الوصول اليها والذب عنها وفتحوا القفصين عن الاسدين فخرجا
وقد اجتمعت امة عظيمة من الفرس واجتمع العرب فقاموا بازائهم
فخرج بهرام من قبته وقد شد وسطه وجمع ذيوله اليها فقام
بازاء الاسدين بين الصفوف ونادى كسرى ان اخرج ايها
المتوثب على ملكنا المتغلب على تراثنا عن ءابائنا فخذ تاج
الملك الذي انتزعته من اهله فاجابه كسرى انك احق واولى
بالتقدم الى ما اعطيت من نفسك لانك الداعي اليه المتبرع به
ثم انك تطلب الملك بوراثة وانا غاصب فدنا بهرام من
الاسدين ولا سلاح معه فلما راى رئيس الموابذة ان بهرام قد
عزم على فعل ما بذل من نفسه ناداه يا بهرام انك مستميت
ولا اثم علينا فيك فقال بهرام اجل انا جعلت ذلك على نفسي
ولكن لرافتي بكم ولابد من فعله فقال له موبذ ان موبذ
ان كنت لابد فاعله فبوء الى الله بذنوبك وتب اليه واستعنه
فذكر بهرام ذنوبه وتاب الى الله منها وساله العون ثم دنا من
احد الاسدين فقصده الاسد فلما قصده راغ عنه روغة ثم
وثب على ظهر الاسد فضم الاسد بفخذيه ضمة تبلد لها الاسد
وفرج بين قوايمه وثبت مكانه يلهث وقصد الاسد الاخر فانتهى
اليه حتى الصق راسه براس الاسد الذي تحته ولم تمكنه السلسلة
من زيادة التقدم فقبض بهرام على اذنيه وجعل يضرب براسه
راس الاسد الذي تحته حتى سقطا جميعا ميتين فقام بهرام
قائما على قدميه وحمد الله سبحانه على صونه وعونه وازال ذيوله
من منطقته وتناول تاج الملك فوضعه على راسه فناداه كسرى
الذي كان الفرس ملكوه ليهن بهرام الملك ما اعطاه الله من
ميراث سلفه فكلنا له سامع ومطيع ثم ارتفعت اصوات الفرس
بالدعاء له وتقدم اليه موبذ ان موبذ فاخذه بيده واجلسه
على سرير ملكه وشد عليه زينة الملك وباء له بالطاعة وبايع زعماء

الفرس على ذلك فركب بهرام ودخل المدينة ونزل بقصر ابيه وفرق الاموال في ذوي الحاجات واهل النجدة وجاء النعمان ابن امرئ القيس وشرفه وتوجه واجاز العرب الذين صحبوه باسرهم على اقدارهم ثم انه وفا لرعيته بمواعيد عدله فلم يزل محسنا محمودا فيهم حتى هلك وقد دون الفرس له اخبارا عجيبة اودعنا منها خبرين نادرين كتابنا المسمى انباء نجباء الابناء وبعد فلله الحمد كما هو اهله ومستحقه وصلواته على سيدنا محمد نبيه واهله وصحبه اجمعين ۞

، السلوانة الخامسة وهي سلوانة الزهد ،

قال ربنا تقدس اسمه مخاطبا احلم من استخلفه في ارضه واعلم من كلفه بما يرتضيه الذي كان عاضده على ما يستكفيه وعاصمه فيما يبديه ويخفيه ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ۞ هذا بعد ان خيره بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار فقر الملك على غناء الملك ۞

* قال له جبريل عن ربه ، خيرت فاختر يا دليل الهدى *
* نبوءة في حال عبدية ، تحوي بها القدح المعلى غدا *
* او حال تمليك تخر العدى ، بين يديه صعقا سجدا *
* فاختار ما يحظى به اجلا ، لله ما اهدى وما اسعدا *
* ۞ خبر نبوي في زهد الملوك ۞ *

من حديث ابن مسعود رحمة الله عليه قال ان ملكا ممن كان قبلكم بينما هو في ملكه اذ ادركه الخوف يريد الخوف من الله سبحانه قال فترك ملكه وخرج حتى اتى النيل وكان على شاطئه يضرب اللبن يعني الطوب ويقتات من ذلك فسمع الملك الذي كان في ارضه بخبره فارسل يقول له كن بمكانك حتى الحق بك وترك الاخير ملكه ثم لحق به فكان امرهما واحدا حتى هلكا ۞ قال عبد الله بن مسعود لو كنت بمصر لاريتكم قبريهما بما نعته لنا رسول

الله صلى الله عليه وسلم ٭ ورويناه بلفظ ءاخر وهو ان عبد الله
ابن مسعود قال بينما رجل في موكبه تذكر فعلم انما
هو فيه منقطع وانه قد شغله عن عبادة الله فانساب عن
قصره ليلا وصار الى مملكة غيره فاتى ساحل البحر يضرب اللبن
ويغتذي من ذلك فبلغ الملك الذي كان في مملكته فركب
اليه وساله عن حاله فقال له انا فلان صاحب ملك كذا
علمت انما كنت فيه منقطع وانه قد شغلني عن عبادة ربي
فقال له ما انت بما صنعت باحق مني ثم خلى سبيل
ملكه وتبعه فكانا يعبدان الله عز وجل وسالاه ان يميتهما
جميعا فماتا جميعا ٭ قال عبد الله بن مسعود لو كنت
بمصر لاريتكم قبريهما بالنعت الذي نعتهما لنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ٭

٭ منثور ومنظوم في الحكم الزهدية ٭

روي ان سليمان بن عبد الملك قال لعمر بن عبد العزيز
رضي الله عنه حين اعجبه ما صار اليه من الملك يا عمر كيف
ترى ما نحن فيه ٭ فقال يا امير المومنين هذا سرور
لولا انه غرور * ونعيم لولا انه عديم * وملك لولا انه هلك *
وفرح لو لم يعقبه ترح * ولذات لو لم تعقب بافات *
وكرامة لو صحبتها سلامة * فبكى سليمان حتى اخضلت
لحيته بدموعه ٭

ومما قلت في ذلك

* يا متعبا كده الحر ،، ص في الفضول فكاده *
* لو حزت ما حاز كسرى ،، وما حوى وافاده *
* ما كنت الا معنى ،، ومغرما بالزياده *
* لم يصف في الارض عيش ،، الا لاهل الزهاده *
* فرض على الزهد نفسا ،، فانما الخير عاده *

حذار حذار من دار ٭ هي شر دار ٭ حرامها سم ناقع ٭
وعذاب واقع ٭ وحلالها نصب شاسع واملٌ واسع ٭
دنياك دار غرور * ومتعة مستعاره * ودار بؤس وكسب * ومغنم وتجاره

وراس مالك نفس * فاحذر عليها الخسارة ولا تبعها باكل * وطيب عيش وشارة * فان ملك سليمان لايفي بشــرارة ۞

ومن قصيــــدة لي في ذلــك

* انا بدار تردي محاربهــا ،، وتخفر الال في موادعها *
* وتستغر الحليم عن سنن ،، القصد وتغبا على مخادعها *
* من رام ابقاءها عليه فقد ،، حاول ما ليس من طبائعها *
* اسرع ما تنتحي بوائقهـا ،، يوما اذا استجمعت لجامعها *
* فته عليها واربا بنفسك عن ،، طـلابها واقتفاء تابعهــا *
* واشفق به بيعة الغرور لها ،، وانبذ صراحا الى مبائعها *
* عمري لقد انذرت منـددة ،، باذعة نصحها لسامعهــا *
* موذنـــة انها مودــــة ،، لساعة ءان من قوارعهـا *
* فالامن والله في فجائعهـا ،، بضمنة الزهد في مطامعها *

ومــــن ذلــك

* راعك الزهد انما الزهد رفض ،، الفضول تكبي وتطغي وتردي *
* ثم لا تمكن الزهادة في المقـــسوم رزقا بل على ضروب التعدي *
* مرحبا بالكفاف عفوا هنيئا ،، ثم لا مرحبا بحرص وكدي *
* ما علمنا وقد راينا كثيرا ،، وسمعنا من حاز جدا بجدي *
لايزال الحريص يستامه الحرص ۞ بنصب من الشقــاء وجهـد
* ثم لايستطيع ان يتعدى ۞ قدرا ما لحتمه من مـرد *

قـــيل ان الحرقـة بنت ابي قابوس النعمان بن المنذر استاذنت بالقادسية على سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه فاذن لها فدخلت في جواريهـا وعليهن المسوح ومقطعات السلب السود فراى منظرا بشيعا ولم تتميز له الحرقة من جواريها لمشاركتها اياهن في الزي فكن رواهب فسلمن عليه فقـال ايتكن الحرقة فقالت هانذة فقـال انت حرقة قالت نعم فمـا تكرارك استفهامي ايها الامير ان الدنيا دار قلعة وزوال فماتدوم على حـال تنقل باهلها انتقـالا وتعقبهم حالا فحالا وانا كنا ملوك هذه الارض يجبى الينـا خراجهـا ويطيعنا اهلها مدى المدة وزمان الدولة فلمـا ادبر الامر صاح

بنا صائح الدهر فصدع عصانا وشتت ملانا وكذا الدهر يا سعد انه ليس من قوم اتحفهم بحبرة الا اردفهم بعبرة ولا اسعفهم بفرحة الا اعقبهم بترحة ۞

ثم انشدت

۞ فبينا نسوس الناس والامر امرنا ۞
۞ اذا نحن فيهم سوقة تتنصف ۞
۞ فاف لدنيا لا يدوم نعيمها ۞
۞ تقلب تارات بنا وتصرف ۞

۞ وبينما الحرقة تخاطب سعدا اذ دخل عمرو بن معدي كرب الزبيدي على سعد فنظر الى الحرقة فقال لها انت حرقة التي كانت تفرش لك الارض من قصرك الى بيعتك بالديباج المبطن بالوشي قالت نعم فقال لها عمرو فما الذي دهمك واذهب محمودات شيمك وغور ينابيع نعمك وقطع سطوات نقمك فقالت يا عمرو ان للدهر عثرات تلحق السيد من الملوك بالعبد المملوك وتخفض ذا الرفعة وتذل ذا المنعة وان هذا امراً كنا ننتظره فلما حل لم ننكره ۞ ثم ان سعدا سال عما قصدت له فاستوصلته فاجزل صلتها وقضى حوائجها ۞ ولما فصلت عنه سئلت ماذا لقيت منه فانشدت ۞

* صان لي ذمتي واكرم وجهي ، انما يكرم الكريم الكريم *
۞ * روضة رائقة ۞ ورباضة فائقة * ۞

قال الشيخ الامام حجة الدين ابو هاشم محمد بن ظفر رضي الله عنه ۞ نذكر ان شاء الله من زهد الملوك ما يناسب الخبر النبوي الذي قدمناه انفا وهو زهدهم في الملك مع نبذهم اه وتخليهم عنه ولا نعرض لذكر من زهد في نعيم الملك ولم ينبذه لاستقلاله باعباء سياسة الخلق بالحق واعباء العباد والزهادة مع ذلك كداوود وسليمان في النبيئين عليهم السلام وكابي بكر وعمر في الخلفاء المهتدين رضي الله عنهم اجمعين ۞ فان هذا الفن يخرج من هذا التبويب ولا يدرج في الاساليب والله المستعان ۞ فمن ذلك

ما بلغني ان معاوية بن يزيد بن معاوية رحمه الله كان على صغر سنه عالما عاملا متبتلا قد ذلل نفسه بالتقوى وعزف بها عن زينة الحيوة الدنيا اقتضت الخلافة اليه وسنه سبع عشرة سنة فخامره الفدر على تحملها واطلع اهل بيته على ذلك فكرهوه ولبثوا عشرين ليلة يناظرونه فيه وينهونه عن اظهار كراهيته فلما راوه غير منتة وانه ولابد من خلع نفسه دعوه الى ان يعهد الى احدهم فقال كيف اتجرع مرارة فقدها واتقلد تبعة عهدها ولو كنت موثرا احدا لاثرت نفسي ثم انه خطب الناس فذكر لهم عجزه عن القيام بامرهم وعهد اليهم ان ينظروا لانفسهم واحلهم من بيعته وانصرف فاغلق بابه ولم ياذن لاحد فلبث بعد ذلك خمسا وعشرين ليلة ثم لحق بالله سبحانه وتعلى ۞ وقال علي بن الجهم في ذلك من ارجوزة له ۞ شعر

۞ ثم ابنه معية المضعف ، كان له دين وعقل يعرف ۞
۞ ودام شهرا ثم نصف شهر ، وجاءه الموت عزيز الامر ۞
۞ وترك الناس بغير عهد ، توقيا منه وفضل زهد ۞

قال الشيخ الامام حجة الدين ابو هاشم محمد بن ظفر رضي الله عنه كلام علي بن الجهم هذا يتضمن ان معاوية مات ولم يخلع نفسه والمعروف ما ذكرته وانما قال معية لان الناس استضعفوه لترك الخلافة ولذلك كنوه ابا ليلي وهي كنية المستضعف ۞ وبلغني ان السبب الباعث له على الزهد في الخلافة والنبذ لها انه سمع جاريتين له يتلاحيان وكانت احداهما بارعة الجمال فقالت الاخرى لها لقد اكسبك جمالك كبر الملوك فقالت الحسناء واي ملك يضاهي ملك الحسن وهو قاض على الملوك فهو الملك حقا فقالت لها الاخرى واي خير في الملك وصاحبه اما قايم بحقوقه وعامل بالشكر فيه فذلك مسلوب اللذة والقرار منغص العيش واما منقاد لشهواته موثر للذاته مضيع للحقوق مضرب عن الشكر فمصيره الى النار فوقعت الكلمة في نفس معاوية موقعا موثرا وحملته

علي الانخلاع من امره ۞

۞ * روضة رائقة ۞ ورياضة فائقة * ۞

قيل كان عدي بن زيد العبادي التميمي قد دخل ارض الروم رسولا الى ملك الفرس فاقتبس من علومهم وقرا الكتب وكان ذا مكانة من ملك الفرس وكاتبا وترجمانا له وكان ابوه زيد واليا على الحيرة وخليفة للمنذربن ماء السماء فكان عدي ابن زيد عند ملوك الحيرة لاجل ما ذكرناه في اعلا المراتب ۞ قالوا حضر يوما عند النعمان بن امري القيس بن عدي ملك الحيرة وهو بالخورنق والخورنق قصر قد قدمنا ذكره فاشرف النعمان على ما حول الخورنق وذلك في فصل الربيع فتامل مليا ثم اقبل على عدي بن زيد فقال يا عدي اكل ما ارى الى زوال ونفاد فقال الملك قد علم ان الامر على ما ذكره فقال النعمان واي خير فيما يفني ويبيد ثم قال ما لبث ان تنصر وترهب وسح في الارض ۞ وقيل بل كان معجبا بالزهر المسمى شقائق النعمان واليه ينسب لانه كان يتبع رياضه ويحميه وانه قصد يوما من ايام الربيع غب سماء شقيقة قد كساها ذلك النور والشقيقة رملة مستطيلة فلما عاين تنضد ذلك النور في منابته وقنو حمرته وخضرة سوقه وتموجه لهبوب النسيم عليه وتناثرقطرالندا من ارجائه راى منظرا بهيجا فامر ان يبسط له بازاء تلك الشقيقة بساطا موشا من الحرير فكانما كان روضة مختلفة باصناف الزهر ونصبت عليه قبة من الديباج الاحمر قد شحنت من المقاعد والنمارق والمساند بما يظاهيها ويجانسها ولبس من الحرير المصبوغ بالبهرمان وهو العصفرا فضل ما يمكنه وجلس في قبته تلك مواجها للشقيقة وحوله ندماوه وملهوه وعنده عدي بن زيد فشرب وطرب ودبت فيه الراح فارتاح ثم اقبل علي عدي يخاطبه ما ذكرناه انفا فلما سمع عدي مقالته اهتبل الفرصة في موعظته بما حكيناه مع الزيادة في ايقاظه من غفلته فامهله حتى انقضى اربه من مجلسه ذلك وركب فسايره عدي الى ان مر بقبور ظاهر الحيرة فقال عدي للنعمان ابيت

اللعنة ايها الملك اتدري ما تقول هذه القبور قال لا قال عدي انها تقول ايها الركب المخثون على الارض المجدون كما انتم كنا وكما نحن تكونون فلما سمع النعمان مقالته راجعته فكرته السالفة فظهر عليه الانكسار ثم مر بشجرات متناوحات بينهن باحة فيها عين ماء جارية فقال عدي للنعمان اتدري ما تقول هذه الشجرات ابيت اللعن فقال ما تقول قال عدي انها تقول ۞

* من رءانا فليحدث نفسه ،، انه موف على قرن زوال *
* وصروف الدهر لاتبقي لنا ،، ولما تاتي به صم الجبال *
* رب ركب قد اناخوا حولنا ،، يشربون الخمر بالماء الزلال *
* والاباريق عليها فدم ،، وعتاق الخيل تروي في الجلال *
* عمروا دهرا بعيش حسن ،، ءامني دهرهم غير عجال *
* ثم اضحوا عصف الدهر بهم ،، وكذاك الدهر يردي بالرجال *
* وكذاك الدهر يرقى بالفتى ،، في طلاب العيش حالا بعد حال *

ويقال ان ذلك كان بينهما في موطن ءاخر وانه اشار بقوله الى قبور كما اشار به اولا ۞ قيل فلما بلغ النعمان الى قصره قال لعدي اذا كان السحر فاحضر فان عندي خبرا اطلعك عليه فلما كان السحر حضر عدي فوجد النعمان قد لبس مسوحا واخذ اهبة السياحة فودعه وذهب ولم يعلم له خبر وعندي ان المترهب السايح هو النعمان بن المنذر الاكبر ولم يدركه عدي ولاكن ذكره في شعره والذي ادركه هو النعمان ابن المنذر الاصغر وان عديا نبهه بما حكي عنه تنبيها اقتضى تنصره لا سياحته بل هو الذي قتل عديا وبقي في ملكه الى ان قتله كسرى والله اعلم اي ذلك كان وبالجملة ففي ذلك قال عدي بن زيد ۞

* ايها الشامت المعير بالدهر ،، انت المبرا الموفور *
* ام لديك العهد الوثيق من الا ،، يام ام انت جاهل مغرور *
* من رايت المنون خلدن ام ،، من ذا عليه من ان يضام خفير *
* اين كسرى كسرى الملوك ابو ،، ساسان ام اين قبله سابور *

* وبنوا الاصفر الكرام ملوك ٪ الروم لم يبق منهم مذكور *
* واخو الحضر اذ بناه واذ ٪ دجلة تجبى اليه والخابور *
* شاده مرمرا وجلله كلسا ٪ فللطـير في ذراه وكور *
* لم يهبه ريب المنون فباد ٪ الملك عنه فبابه مهجـور *
* وتامل رب الخورنق اذ ٪ اشرف يوما وللهدى تفكير *
* سره ماله وكثرة ما يملك ٪ والبحر معرضا والسديـر *
* فارعوى قلبه وقال ومـا ٪ غبطة حي الى الممات يصير *
* ثم بعد الفلاح والملك والامة ٪ وارتهم هنـاك القبـور *
* ثم اضحوا كانهم ورق جف ٪ فالوت به الصبا والدبـور *

* روضة رائقة * * ورياضة فائقة *

حـكي ان ملكا من الملوك اليونانيين قام من منـامه في بعض الغدوات فاتته قيمة له ملبسة ثيابه فلبسها ثم ناولتـه المرءاة فنظر فيها فراى شيبة في لحيته فقال هات المقراض ياجاريـة فاتته به فقص الشيبة فتناولتها الجارية وكانت لبيبـة اديبـة فوضعتها في كفها واصغت اليها باذنها ساعة والملك يتاملهـا فقال لها ما تصنعين فقالت استمع الى ما تقول هذه الشعرة التي عظم مصابها بمفارقة الكرامة العظمى حين سخطها الملك فاقصاها فقال لها الملك فما الذي سمعت من قولها فقالت زعم قلبي انه سمعها تقول كلاما لايجترىء لساني على النطق به لاتقاء سطوة الملك فقال لها الملك قولي على حال امنة وتوق ما لزمت اسلوب الحكمة فقالت انها تقول ايها الملك المسلط الى امد قريب قصير اني ظننت بك البطش بي والاعتداء علي فلم اظهر على سطح جسدك حـتى بضت وحضنت بيضي حتى افرخن وعهدت الى بنـاتي في الاخذ بثاري عهدا وكان قد خرجن فعجلن الاخـذ بثـاري منك اما باستيصالك واما بتنغيص لذاتك وبخيف قوتك حتى تعد الهلك راحـة ؟ فقـال لها الملك اكتبي كلامك هـذا فكتبته له فتصفحه مرارا ثم نهض مبادرا فاتى هيكلا من الهياكل التي يعظمونها فنزع عنه ملبس الملك وتزيا بزي نساك الهيكل وبلغ ذلك اهل مملكته فبادروا اليه وطالبوه بالعود الى محل ملكـه

وتحبيبوه فامتنع عليهم وسالهم اقالته وتمليك غيره فامتنعوا عليه وهموا بامتحانه فاصلح بينهم النساك على ان يتركوه في ذلك الهيكل يعبد ربه ويستكفي لما يستناب في مثله من امور رعيته ويلي غيره بنفسه فلبث على ذلك الى ان هلك ۞

۞ روضة رائقة ۞ ورياضة فائقة ۞

بلغني ان ملكا من ملوك اللان كان كافرا شديد العتو والكبر حديث السن مستحكم الغرة وكان اذا ركب لايستطع احد ان يرفع صوته الا بالثناء عليه والمدح له والشكر لاحسانه وكان له وزير نصراني مومن يكتم ايمانه ويتخير وقتا يمكنه فيه دعوة ذلك الملك الى الله فركب الملك يوما فسمع شيخا قد رفع صوته لبعض شانه فقال للشرط خذوه فلما اخذوه قال الشيخ ربي الله فقال الوزير للشرط خلوا عنه فخلوا عنه فاشتد غضب الملك على وزيره ولم يمكنه الانكار عليه في ذلك الحال والمقام لئلا يظهر للناس ان الوزير يخالفه فيما يامره به فسكت ليتوهم الناس ان الوزير انما امر بما اراده الملك فلما انصرف الملك الى مستقره احضر الوزير فقال له ما دعاك الى مناقضة امري بمشهد من عبيدي فقال الوزير ان لم يعجل الملك اريته وجه نصحي واشفاقي وحوطي عليه فيما اتيته فقال له الملك ارني ذلك فاني لااعجل عليك فقال اريد ان يحتجب الملك في مجلسه هذا ويكون بحيث يرى ويسمع من حجابه ففعل الملك ذلك ثم ان الوزير احضر قوسا صنعها للملك بعض خدمه وكتب الصانع اسم نفسه عليها فناولها غلاما بحضرته وقال للغلام اني محضر صانع هذه القوس فاذا حضر واقبلت عليه بالمحادثة فاقرا الاسم الذي على القوس جهرا حتى تعلم ان صانعها قد سمعك ثم اكسرها وحضر القواس وفعل الغلام ما امره الوزير فلما كسر القوس لم يتمالك صانعها ان ضرب الغلام فشجه فقال له الوزير ويحك اتضرب غلامي بحضرتي فقال القواس ان القوس عملي وهي في غاية الجودة فلاي شيء كسرها فقال له الوزير لعله لم يعلم انها عملك فقال بلى لقد اخبرته القوس بانها عملى فقال

الوزير كيف تخبره القوس فقال هذا خطي بذلك عليها وقد قراه وانا اسمعه فصرف الوزير القواس ثم اقبل على الملك فقال له لقد اربت الملك وجه نصحي له واشفاقي عليه بما كان مني فان الملك لما اراد ان يسطو على الشيخ اخبره الشيخ ان الله ربه فخفت على الملك ان يبطش به رب الشيخ وليس يقوم لبطشه شيء فقال الملك للوزير وهل للشيخ رب غيري فقال الوزير الم يره الملك شيخا والملك شابا فهل كان هذا الشيخ قبل ان يولد الملك لارب له فقال الملك بل كان ابو الملك ربه فقال الوزير فما بال المربوب بقي بعد هلاك ربه فقال الملك للوزير لقد قدحت في كبدي بزند غير صالدة ولقد علمت الان انه يجب ان يكون للملك والملوك رب لايزول فهل تعرفه فتدلني عليه فقال الوزير نعم اني اعرفه فقال الملك ادللني عليه اكن لك تبعا ما بقيت فقال الوزير اما دلالتك عليه فاول ما يجب لك علي واما اتباعك لي فلئن فعلته فانما تتبع عبدك الذي يقيك بمهجته ما يريبك ثم ان الوزير تلطف في دلالته على الله سبحانه وشرح الله صدر الملك لقبول ذلك فآمن بالله سبحانه ثم قال لوزيره اما لربنا من خدمة اذا احسنها عبده حظي بذلك عنده قال الوزير بلى ان له وظائف عبادة امربها خلقه ورضي لهم فعلها ووعدهم عليها رضوانه والقرب منه وذكر له الصلوة والصوم وغير ذلك من شرائع المسيح عليه السلام فجعل الملك يرتاض بها حتى رسخ في علمها وتمرن على العمل بها ثم انه قال للوزير يوما مالك لاتدعوا الناس الى الله كما دعوتني فقال ما معناه ايها الملك ان اللان امة ذات قلوب قسية وفهوم تصبة ونفوس عصية ولست آمنهم على دمي ان يفوه لهم بذلك في فقال الملك اني فاعل ذلك ان لم تفعله انت فقال له الوزير ليعلم الملك انهم ان لم تردهم هيبته عني لم تردهم عنه وساجعل نفسي وقاء لنفسه وانهم سيقتلوني لامحالة فلا يجترء الملك عليهم بمثلها بعدي ثم ان الوزير استدعى الى داره وجوه تلك المملكة وذوي تدبيرها وولاة احكامها واهل النسك والحلم منها فلما اجتمعوا

اليه في داره قام فيهم خطيبا بالدعوة الى الله سبحانه فثاروا عليه فقتلوه ثم صاروا الى الملك فاخبروه بما كان من الوزير ومنهم وقالوا له انا ظننا ان الملك على رايه وتحب معرفة ما عنده وقل ما لبث ذلك الملك ان نبذ ملكه ولحق بالرهبان فكان معهم الى ان توفاه الله عز وجل اليه ❊

❊ روضة رائقة ❊ ورياضة فائقة ❊

قيل ان يزدشير بن بابك بن ساسان ولد له في حداثة سنه وبدو امره ولد فسماه بابك باسم ابيه فنشا رايع الصورة بارع الخلق فشغف به ازدشير حبا والزمه فيلسوفا ماهرا في الفلسفة راسخا في الحكمة متحليا بالزهادة وساله ازدشير ان يتخذه ولدا فاقتطعه الفيلسوف عن ابويه وولي تربيته وتزويجه الى ان اضطلع باعباء علوم الفلسفة وتبساي مثوى الزهد ولما سعى ازدشير بضم كلمة الفرس فتم له المراد واعطاه ملوك الطوايف القياد واستمد رايي ولده بابك فيما نابه من المهمات فظفر منه باضعاف امنيته الا انه كان لايشاهده ويشافهه الا نغص عليه الدنيا تصنيفا لمعانيها وتعريفا بشوائبها وتخويفا من عواقبها فكان ازدشير منغص المسرة بولده لاجل ذلك ❊ وكان يقال قل ما يتوفر فكر الملك على امر واحد حتى تطول عنايته به على انفراده وذلك لكثرة ما يتجاذب خواطره من الامور حتى اذا توفر فكره على امر واجتمع له اوشك ان يحكمه واذا رايته قد اجتمع لامر وتوفر له فلا تعرض له بغيره فتحول بينه وبين الفرصة التي يقل ظفره بها ❊ قيل وكان ازدشير يحتمل ذلك لولده شغفا به وتالفا له وابقاء عليه ❊ فقال له يوما يا بابك اتعرف اباك فقال بابك ان لي ايها الملك السعيد ابوين اباكان علة كوني وابا كان علة بقائي وانا بهما عارف فقال ازدشير صف لي اباك الذي كان علة كونك فقال بابك ما معناه انه ملك ملا العيون بهاء والاسماع ثناء والصدور هيبة والقلوب محبة ذو رافة شاملة وقضية فاضلة وسيرة عادلة وحزم اخاف قلوب المريبين من اجسادها وسل سيوفهم من

انجادها وامن البريئين من السباع الضارية والافاع الجارية والاشباح رق لسيفه والارواح رق لسيبه وحلمه ۞ فقال ازدشير لابنه بابك صف لنا اباك الذي كان علة لبقائك ۞ فقال بابك ما معناه انه حكيم عرف فضيلة نفسه فكرمها وعنى بها فخدمها ۞ فقال ازدشير اخبرنا عن كيفية خدمته لنفسه ۞ فقال بابك ما معناه انه تامل نفسه فوجدها ارضا انيقة بكل خير خليقة ذات مياه نابعة واشجار كارعة واثمار يانعة وظل ظليل ونسيم عليل الا انه انه الفاها ماوى لاسد الغضب ونمور الجهل وذياب الغدر وخنازير الشرة وكلاب الحرص وضباع الحمق وحيات الظلم وعقارب الحسد فنفى عنها هذه الافات كلها وحصنها منها فصارت خيرا محضا لاشر فيه ۞ فلما سمع ازدشير مقالة ابنه علم انه معرض عن الملك نابذ له زاهد فيه فساءه ذلك ثم اقبل عليه فقال له يابابك ان الحكمة لاترضى لمن اتصف بها ان يكون مربوبا مقهورا مع تمكنه من ان يكون ربا قاهرا ۞ قال بابك ما اجدر الملك السعيد بالصدق واحراه بالاصابة ولاكن ان اذن لي الملك السعيد ضربت له مثل الرب القاهر والمربوب المقهور ۞ فقال ازدشير هات ما عندك ۞ فقال بابك ذكر ان فيلا كان مكرما عند بعض الملوك وكان ربيبا انيسا اديبا وانه صيد لذلك الملك فيل وحشي فعسرت على السواس رياضته وتعذر عليهم تانيسه فراوا ان يجعلوه مع ذلك الفيل الانيس الاديب ليانس به ويقتبس من اادابه ففعلوا ذلك به فازداد نفارا وتوحشا فبالغ السواس في عقوبته والتضييق عليه والتجويع له ليذل فنال منه الجهد وان الفيل الربيب قال له يوما لقد جنيت على نفسك شرا واسات النظر لها بجهلك ولو علمت ما يراد بك من الخير لم تفعل ما فعلت ۞ ولاكنه كان يقال الغرة باب تحجب الالباب عن صوب الصواب * وكان يقال الجاهل ميت الاحياء وذلك لتهوره وفساد تصوره ۞ وكان يقال لاتبح كرامتك غير طالبها كما لاتنكح كريمتك غير خاطبها ۞ فقال الفيل الوحشي للربيب ما الذي يراد بي

قال يطيب علفك ويستعذب موردك وينظف مسكنك ويوكل بك خدمة يكلئونك ويراعون شئونك ويجعل لبروزك اوقات معلومة منتظرة ينحشد الناس لها فتجلل بالديباج ويضرب بين يديك بآلات تهيج الطرب وتبعث على الاختيال ثم تبرز فيسار بك مكرما معظما لاتعارضك دابة ولا تهب عليك للهون هابة ❊ فقال الوحشي للربيب لاختبرن ما ذكرت لي فنزع عن توحشه ونفاره وتاتا لما يراد منه فكرم ونعم وخدم وعظم ❊ ولما اظل يوم الزينة بولغ في تكرمته وتنظيفه وحلل بالديباج وشد على ظهره سرير مزين وصعد عليه المقاتلة عليهم الدروع والخود بايديهم عمد الحديد وركب على عنقه دارع بيده كلاب والبست فلطسته الزرد وشد على طرفها قايم سيف كبير وقبض سواسه علي نابيه عن يمين وشمال وبايديهم عمد الحديد وعليهم الدروع وضربت بين يديه الطبول والصنوج وسار على تلك الحال حتى بلغ المراد منه ❊ فلما عاد الى ماواه قال لذلك الفيل الربيب قد بلوت حقيقة ما حدثتني عنه ورايت زيادات احببت ان اسئلك عنها ❊ قال ما هي ❊ قال ما كانت تلك الاثقال التي حملت على ظهري ❊ قال له اولئك المقاتلة على سرير ومعهم آلات القتال ❊ قال فما ذلك الذي سترت به فنطستي والذي صير على طرفها وما القابضان على نابي والراكب على عنقي قال له اما الذي سترت به فنطستك فدرع يحصنها لانها مقتل واما الذي ربط اليها فسيف يضرب به في وجه العدو واما القابضان على نابيك فانهما يذبان عنك الاعداء ويعينانك على الاقدام واما الراكب على عنقك فيهديك الوجه الذي يراد منك ملوكه ❊ فقال الفيل الوحشي لامر ما طيب علفي واستعذب موردي ونظف بدني ومسكني ونوه باسمي وجمل ملبسي واني لارى امرا الا يقوم خيره بشره ولا يفيء نفعه بضره ❊ وبعد فلا كونن من احرص الحراص على التماس الخلاص ❊ فانه كان يقال من عني بغير نفسه فقد بسط عليها ضره واستنبط لها ضره ❊ وكان يقال اذا كانت الحاجة تستعبد المحتاج لمن احتاج اليه بقدر

حاجته فالناس عبيد الدنيا واعبدهم لها احوجهم اليها ۞ وكان يقال اذا كانت العبودية كناية عن خدمة المعبود والحاجة اليه فاعبد العبيد ثلاثة ۞ الملك ۞ والمحب ۞ والمنعم عليه لاستيلاء العبودية على ظاهرهم وباطنهم والملك اعبد الثلاثة وذلك لان الرعية تستخدم باطن الملك وظاهره في تدبيرها وتاديبها وامرها من عدوها وعونها على مصالحها وردع ظالمها ونصر مظلومها وتامين سبلها وسد ثغورها والاعداد لما ينعشها في الجذوب ويحصنها في الحروب وجباية فضول اموالها وصرفه في احوالها وحسم اسباب هيجها وازاحة علل فتنتها وهرجها ۞ هذا مع شدة حاجة الملك الى رعيته في صون نفسه وتنفيذ امره وامحاض نصحه ودفع عدوه ۞ فلما سمع الفيل الربيب مقالة الوحشي تبين له انه اولى منه بالغرة والتهور وفساد التصور ۞ وقال لحق قالت الحكماء الجهل يحجب العيان ويقلب الاعيان ۞ وقالوا لايزال المخطي مرجو الاصابة مالم يخامره الاعجاب بخطائه فاذا اعجب حجب ۞ ثم قال للوحشي اني اكافئك عن نصحك اياي وتبصرتك لي بان افتح لك باب الحيلة في نجاتك لاني ابصر باخلاق الانس وعادتهم واهدى الى وجه الخلاص منهم وساتبعك فاكون خادما لك ما بقيت ۞ ثم انهما اتفقا على ان يتظاهرا بالرجز وهو داء يصيب الفيل والابل في انجازها فاذا قامت رعدت افخاذها حتى كادت تسقط فتعالج بالفصد وتحمل على السير الهون ۞ فلما تظاهر الفيلان بذلك سارع السواس الى مداواتهما واخرجوهما الى الصحراء فسيروهما ۞ فلما بعد الفيلان عن العمارة وامكنتهما الفرصة من الهرب شردا فلحقا بالفيلة المستوحشة ۞ فهذا ايها الملك السعيد مثل ما ذكرت فلما وعي ازدشير مقالة ولده بابك اطرق مغموما يتفكر في امره وقد يئس من اجابته الى ما يريده منه ۞ ثم انه نهض وامر بابك باتباعه فاتبعه حتى ادخله بيوت ماله ومستودعات ذخائره فجعل يريه اياها وينبهه على مزاياها حتى اتى على اخرها ۞ ثم اقبل عليه

فقال له لمن تترك هذا اتتركه لمن هو احب اليك من نفسك واحق بـه منها فقال له بابك ان اذن لي الملك السعيد ضربت له مثلا جواب ما سالني عنه فقال له ازدشيرهات ما عندك في ذلك ❁ فقال بابك ذكر ان راعي بقر يرعى لاهل قرية فيحسن لبقرهم السراح والمراح فلبث بذلك برهة من الزمان وهم به مغتبطون وعليه مثنون لما يعرفونه من بركة سعيه وتثمير رعيه وكانوا لايسئلونه عن شيء من امر بقرهم التي اسلموها اليه رضى به وطمانية الى امانته وكفايته ❁ وكان يقال الموثوق موموق والامين بالمودة قمين ❁ وكان يقال الاحسان والامانة ملقان بكل لسان نافقان عند كل انسان ❁ قيل وكان الراعي ياوي عند المقيل الى صومعة راهب فيقيل في ظلها و يكثر التاوه والانين لما يناله من النصب فيما يعانيه وكثر ذلك منه على الراهب الى ان خامرته رقة فاطلع عليه يوما فقال له ايها الراعي مالي اراك تكثر الانين والتاوه فقال الراعي ذلك لما اتجشمه من حفظ هذه البقر والذب عنها وتتبع المراعي الخصيبة بها فاني اقوم من ذلك بما يعجز عنه غيري واحمل على نفسي المشقة في حصوله فقال الراهب وما الذي دعاك الى الاضرار بنفسك في اصلاح سواها ونفسك اقرب اليك واحق بسعيك فقال الراعي اني لولم افعل ذلك لما بلغت هذه البقر من السمن والوفور ما ترا ولقد كنت يوم وليت امرها قليلة العدد كثيرة العجف بكية الضروع لاتزين فناء ولا تملا اناء فقال الراهب لقد حدت عن مسئلتي حيدة من لم يولها اقبالا ولم يلق لها بالا انما سالتك على سبب حملك على نفسك لغيرك وايثارها من سواها بخبرها فاخبرتني بشديد عنائك وسديد اعتنائك فاخبرني الان مما افادك جيد سعيك وسديد رعيك ❁ فقال الراعي افادني العناء بهذا البقر اني ءاكل من لحوم ما سقط منها ما شئت واطعم من شئت واتصرف في البانها وغير ذلك من منافعها تصرف المالكين وانتجع بها من الارض الى حيث شئت فهي في الحقيقة لي وبيدي ❁ فقال الراهب هكذا زعم راهب كان ذا بله ثم صح

عنده بطل زعمه ۞ قال الراعي اخبرنا عن ذلك ۞ فقال الراهب ذكر انه كان سائح مترهب فر في سياحته بدير كان حسن البنا قد تثلمت حيطانه وهو بمكان طيب نزه وبين يديه ارض اريضة فيحاء ذات ماء عذب وفي ذلك الدير رجل من ضعفاء الرهبان ومساكينهم فاعجبه الدير واوطنه وكان قوي البدن جلدا معمارا فاصلح ما تثلم من جدران الدير وعمر الارض التي عنده فاحتفر سواقيها واجرا ماءها وغرس فيها صنوف الاشجار فدرت منافع الدير وقصده الرهبان واوطنوه وسادهم ذلك السايح واتخذ العبيد والدواب وءالة عمارة الارض واستضاف الى الدير ما جاوره وغرس فيه من الكروم والزيتون واللوز شيئا كثيرا فعظمت المنافع وكثرت الجباية ورغب السايح في جمع المال فحرم المساكين واتخذ كنزا في اقرب مدة ۞ وكان يقال المال كالماء فمن استكثر منه ولم يجعل له مسربا ينسرب فيه فما زاد على قدر الحاجة غرق به ۞ وكان يقال المواساة في الجاه والمال عوذة بقائهما ۞ ولما عامل الراهب السايح من عمر معه الدير بالحرمان واستاثر دونهم اكثروا شكايته فقبحت القالة فيه واجترا عليه من كان يهابه وافضت الحال بهم الى مكاشفته فجاهروه ودعوه الى الانصاف والمواساة فيما بيده فقال لهم كيف اعطيكم مالي الذي اكتسبته بكدي واستفرغت في تحصيله جهدي فقالوا له بل هو مال الله ولكل احد منا فيه حق ولك الفضل علينا بتنميته وصونه فقال لهم ستعلمون مال من هو ولما جن عليه الليل امر عبيده فعقروا الف دالية والف زيتونة والف لوزة فاصبحت مصرعة في اشنع منظر فاتوا السايح فاخبروه بما حدث وهم لايعلمون انه الفاعل لذلك فزجرهم وقال لهم انه مالي فلا عليكم منه بقي او ذهب فعلموا انه فعله فثاروا به فاهانوه وضربوه ثم طرحوه فخرج من الدير على الحالة التي دخله عليها ۞ فلما حصل بظاهر الدير سرح طرفه فيما كان عمره وغرسه فراى منظرا رائعا فتنفس الصعداء تحسرا على ذهاب شبابه وقوته وربعان عمره فيما لم يجد

عليه طائلا ثم كان عاقبته الى مزايلته والانسلال منه على حال مهونة وفاقة وضعف ۞ فقال لحق قالت الحكماء الدنيا سبيل يعبر ولا يعمر وممر سالك لامقر سادك ۞ وقالوا الدنيا جسر من عبره باعتبار افضى الى قرار في يسار ومن عمره باغترار افضى الى دمار وتبار ۞ وقالوا الدنيا قريب سلبها الى سلمها وخفضها الى عطفها والعاقل من استعد لختلها ولبس الاستعداد لذلك الا التاهب لبغتتها المكتوم وفراقها المحتوم والاستكثار منها نقيض ذلك ۞ وقالوا ان الخروج من الدنيا لاتطيب به نفس ولكن قد تتهيا رياضة النفس عليه باستشعار الزهد في الفاني العاجل والاستكثار من العمل النافع في الاجل ۞ وقالوا التنعم في الدنيا يضاعف حسرة زيالها ويوكد غصة اغتيالها ۞ ثم ان الراهب السايح عاد الى سياحته فقل ما لبث ان هلك ۞ قيل فلما وعى الراعي مقالة الراهب وفهم المثل الذي ضربه له واستبصر فيما تضمنه من الحلم ۞ قال له جزيت خيرا من ناصح فخذ الان بتصريح حالي عندك فقد ادبتني كنايتك وهياتني للقبول وجلت عن فطنتي صداء غرتي ۞ فقال الراهب للراعي قد اوضحت لك غلطك في دعوى ملك ما استرعيت له واستعملت فيه واتتمنت عليه وكشفت لك ما ستر عنك من قبح حملك على نفسك لغيرها معتاضا عن ذلك اعواضا قليلة واعراضا مستحيلة فاردد البقر الى ملاكها واعمل في خلاص نفسك من السباع الضارية والافاعي الجاريه والكلاب العاوية والعقبان المختلسة والشياطين الموسوسة والاشراك الخاتلة والسموم القاتلة لتنجوا من البوار وتعلوا الى عالم الانوار ۞ قيل فلما انتهى بابك من امثاله الى هذه الغاية امسك عن القول واطرق ابوه ازدشير متاملا ما تصرف فيه ولده من المقال وضربه من الامثال مضطرب البال مضطرم البلبال وخرج بابك من فوره فساح ۞ قال الشيخ الامام حجة الدين جمال

الاسلام ابو هاشم محمد بن ابي محمد بن محمد بن
ظفر رضي الله عنه ۞ اني والحمد لله ما انهيت بغية ما اوردت الى نهية
ما اردت ۞ وانا اعوذ بالله من عذاب الاعذاب كما اعوذ
به من حجاب الاعجاب واستكفيه عول السوال كما استعفيه
عول الجواب واستدفع به فساد الخطاب كما استدفع به كساد
الصواب واتوب اليه فهو الرحيم التواب ۞

* الحمد لله يقول المتوكل على فضل مولاه في الماضي والاتي ۞
* عبده محمد البشير التواتي منحه الله السعادة ورزقه بمنه *
* الحسنى وزيادة قد صحح اول هذا الكتاب المسمى بسلوان *
* المطاع في عدوان الاتباع الاجل الفاضل البارع الفصيح *
* البليغ ابو الثناء الشيخ محمود قبادو قاضي باردو *
* المعمور في التاريخ ولما اشتغل الشيخ المذكور بالنوازل الشرعية *
* صحح اخره العبد الضعيف وقال *

* بشرى لقد قضيت لنا الاوطار * وسمت بفضل الله هذي الدار *
* وزهى بهاروض العلوم وافصحت * بلغاتها في ايكها الاطيار *
* لا سيما الادب الجليل فقد جرى * من بينها سلساله المدرار *
* وافادنا منه النفيس اب لهاشم الهمام العالم النظار *
* فاتى بسلوان المطاع وصاغه * من نوع در ما رمته بحار *
* فلكم حوى غررا من امثال ومن * حكم بها تتنافس الاعمار *
* فحديقة الاداب اينع دوحها * وهو الذي انفتحت له الازهار *
* فلذاك قلت وقد تناهى طبعه * ارخه سلوان المطاع ثمار *
* * * ٣٨٧ * ١٥١ * ٧٤١ ۞
* * ١٢٧٩ *

* قد نجز طبع هذا المثال والشكل المنظوم نظم الامثال بمطبعة *
* الدولة التونسية بحاضرتها المحمية في الثاني والعشرين *
* من ثاني الربيعين سنة تسعة وسبعين بعد *
* الالف والمايتين من هجرة سيد الثقلين *
* صلى الله وسلم عليه وعلى عشيرته والال *
* والصحابة بدور الكمال *